التعظيم في التعبير القرآني:
أنماطه ودلالاته

أ.م.د.علي فرحان جواد
كلية التربية للعلوم الإنسانية
بجامعة المثنى
قسم اللغة العربية

ملخص البحث:

قدّم البحث مجموعة من طرائق التعبير القرآني؛ لتدل على معنى قرآني موحد، وجِد مجزّأ في كتب النحو والبلاغة والتفسير، ولم يُشر إليه -فيما أعلم- بدراسة مستقلة بذاتها: في بحث أو رسالة أكاديمية، وتوصل البحث إلى أن المفهوم الخاص للتعظيم هو (الاتساع، وتناهي الوصف الذي لا يُحاط بكنه معرفته؛ إما لشدة وقعه، أو في نفسه، تصويرياً لغيره؛ مع ملازم للخارج في الغالب)، ومما يُلحظ في الفارق الدلالي بين المعجم العربي، والنص الكريم في استعمال التعظيم: أن الشواهد المعجمية شواهد في الغالب فعلية الدلالة متجددة أو ذات طبيعة حسيّة ومادية، في حين أنها في النص القرآني اسمية تدل على الثبات والدوام، ولم يأت "فعيل" إلا صفة توكيدية لموصوف أكثر ما يكون حدثاً، والقلة فيه التعبير عن الذات، مع ملازمة القرآن الكريم للحدث الخارجي المتصف بعظمته حقيقة وتفسيراً، ذلك ينطلق من الدلالة المعجمية لمادة (ع ظ م) التي كان لها حضور في توجيه البنيات القرآنية، وجاء في طرق التعبير عنه بطرق مباشرة، وغير مباشرة، ومن غير المباشرة بأنماط متعددة تدل على مفهومه، ومنها: التعظيم بالتنكير، وبمجيء الجمع بصيغة المفرد، وباسم الإشارة

وبالضمير، وبالذكر وبتكرار المعظم، وبالصفة وبالالتفات، وبتخصيص اللفظ، وبمواضع أخر، وأن التعظيم في طريقة التعبير بدلالة الملفوظ على غير ذاته بقصد التعظيم مباشرة قد ورد بصيغ لا تدل عليه أصالة، ومنها: التعظيم بالاستفهام، وبالقسم، وبالنداء وبالتعجب، وبالنهي، والأمر، والقصر.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد المصطفى، وآل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين، أما بعدُ...

فالبحث يقدّم دراسة أسلوب من أساليب الاستعمال القرآني وهو أسلوب التعظيم الذي تفرد بطريقة صياغته القرآنية على نحو يمتاز به من غيره من النصوص الأخرى، وتبلغ جدة الموضوع أن الباحث لم يقف – مع كثرة الاطلاع والتمحيص- على دراسة مستقلة لهذا الأسلوب في القرآن الكريم، اللهم إلا أمثلة لقواعد في علم المعاني توزعت في موضوعات متعددة، فعرض البحث الآليات التي يتسم بها لتمثل تفرداً عجيباً وإعجازاً فريداً يسمو في آفاق الدرس اللغوي باستحضار طرائق نحوية وبلاغية ولغوية وتفسيرية، ومن العقبات التي واجهت الباحث كثرة الشواهد التي لم يتوقعها، وكثرة الطرائق التي انفتح البحث عليها من مظانها، ولا سيما أن سيبويه أفرد بابين للتعظيم اقتصر فيهما على النعت المقطوع من غيره، وربطه بصحة العبارة في النحو والأسلوب الصحيح فضلاً عن تخصصه في كلام العرب لا في القرآن الكريم، وقسّم البحث على أقسام ثلاثة، كان الأول في المقاربة اللغوية للفظ في وجوديه: الخارجي في الذاكرة العربية متمثلة بلسانها المعجمي، والدلالة القرآنية في بعدها المعجمي، والقسم الثاني في طرائق التعبير المباشرة في الأسلوب القرآني، ببعديه: بالدوال المستقل بذاتها، والدوال المشتركة بسمة معه، ليقدم القسم الثالث طرائق التعبير غير المباشر بنمطين متغايرين:

نمط بدلالة الملفوظ على ذاته بقصد التعظيم، وآخر بدلالة الملفوظ على غير ذاته بأنماط لا تدل عليه أصالة.

(1)

(1-1)

وردت المادة اللغوية (ع ظ م) في المعجم العربي؛ لتدل على طريقتين في الاستعمال العربي، الأولى الاستعمال المادي للفظ، قال الخليل (ت 170هـ): «عظم[1]: العظام: جمع العَظْم، وهو قَصَب المفاصل» [2]، وقال ابن دريد (ت321هـ): «والإعظامة: شَبيهَة بالوسادة تجعلها الْمَرْأَة على عَجُزها تعظّمه

بذلك، ولُعبة لصبيان الْأَعْـرَاب يطرحون باللَّيْل قطْعَة عُظيم فَمن أَصَابَهُ فقد غلب أَصْحَابه »[3]، وحدّث الأزهري(ت370هـ) عن أبي«عبيد عَن الفرّاء قَالَ العُظْمة، شَيْء تعظَّم بِهِ الْمَرْأَة رِدْفها من مرْفقة وَغَيرهَا، وَهَـذَا فِـي كَـلام بَني أَسَـد، وَغَيرهم يَقُول: العِظَامة بِكَسْر الْعين... ونُقل عن أبـي... عبيد عَن الأصمعيّ: عَظْم الرجُل: خَشَبة بِلَا أَنساع وَلَا أَدَاة» [4]، والتغليظ: لعظمة الغلظة « عَظَمة الذِّرَاع: مَستغلَظها، وَقَالَ أَبُو عُبَيد: عَظَمة اللِّسَان: مستغلَظه فَوق العَكَدة، »[5]، ولعل من هذا المجاز عند نشوان الحميري (ت573هـ)«يقال: دَقّ عَظْمُ فلان: إذا ضعف ورقت حاله» [6].

والطريقة الأخرى: الاستعمال المعنوي فيما لا يُـدرك بمـدركات البصائر، وهـذا الاستعمال هو الأقـرب لموضوعنا: مقاربة في التوجيه اللغوي، وهـو –أيضاً– ينطوي على استعمال عـربي أصيل ورد ذكـره في المعجم العربي بما حملته الذاكرة العربية، فتغيّر بعد حين على مرحلتين أيضاً رصدهما المتخصصون في هذه الطريق تغييراً دلالياً، فمما يحفل به العقل العربي للتعظيم: أن دلالاته المعنوية تأتي بمعانٍ متعددة، منها:

■ **التكبير**: قـال الخـليـل: «وعَـظَّـمَـهُ يُعَظِّمُهُ تعظيماً، أي: كبّره»[7]، والعظيم: ضد الصَّغِير[8]، وعُظْم الشَّيْء ومُعظمه: جُلّه وأكبره[9]، واستعظَمَ وتَعَظَّمَ: تكبر[10]، وذهب الراغب الأصبهاني (ت502هـ)إلى أن «عظم الشيء أصله: كبر عظمه، ثم استعير لكل كبير، فأجري مجراه محسوسا كان أو معقولا، عينا كان أو معنى»[11]، وعُظْم الشيء: كِبَرُهُ[12]، و«(العظَمُ، بكَسْر العَيْن)... هُوَ كِبَرُ الطُّول والعَرْض والعُمْق»[13]. واستدرك الـزبيـدي (ت1205هـ)على القـاموس أن «العَظيم: مـن صفات اللّه، عَـزَّ وجَـلَّ، وَهُـوَ الكَبيرُ، وهما مُترادفان.. ونقل عن... الفَخْرُ الرَّازيّ: الكَبيرُ: مَا كَبُرَ في ذاته، والعَظيمُ مَا يَسْتَعْظِمُه غَيْرُه، فَلِذَا كَثُر وصْفُ اللّه بِالكَبيرِ لَا العَظيم»[14].

■ **التكثير**: قال الخليل: «ومُعْظَمُ الشيءِ أَكْثَرُهُ. مثل مُعْظَم الماء وهو تبلّده. والعُظْم: جلّ الشـيء وأكـثـره» [15]، وقـال أبـو هلال العسكري (ت بعد 394هـ): «إن الْعَظِيم قد يكون من جِهَة الْكَثْرَة وَمن غير جِهَة الْكَثْرَة... وَقد يعظم الشَّيْء من جِهَة الْجِنْس وَمن جِهَة التضاعف»[16].

■ **التبجيل**: قـال ابـن دريـد: «وعظَّمتُ الرجلَ تَعْظيمًا، إذا بجّلته»[17]، والتَعْظيمُ: التبجيلُ[18].

■ **التحريم**: « وَإِن لفُـلَان عَظَمة عِنْد النَّاس أَي حُرْمة يعَظَّم لَهَا، وَله معاظم مثله... وَإِنَّهُ لعَظيم المَعَاظِم أي عَظِيم الحُرْمة»[19]، وقد يقترب من مفهوم المهابة.

■ **التهويل**: نقل الأزهري عن «اللحيانيّ: يُقَال: أعظمني مَا قلتَ لي أي هالني وعَظُم عليّ. وَيُقَال: ما يُعْظِمني أن أفعل ذَاك أي مَا يَهُولني، ورماه بمُعْظَم أي بعَظيم»[20]، وربما سُمّيت المُلِمَّة بالعَظِيمة[21]: إذا أعضلت[22]، وهنا نجد الخليل دقيقاً في تحديد التهويل فنراه يقول: «وسمعت خبراً فأَعْظَمْتُه، أي: عَظُمَ في عيني»[23]، فتهويل الشيء لا في ذاته بل في عين متلقيه سامعاً أو مبصراً، ولعل منه « يُقَال: أَصَابَنَا مَطَر لَا يتعاظمه شَيْء أَي لَا يعظم عِنْده شَيْء»[24]قال ابن فارس (ت395هـ): «فَالْعَظْمُ: مَصْدَرُ الشَّيْءِ الْعَظِيم. تَقُولُ: عَظُمَ يَعْظُمُ عِظَمًا، وَعَظَّمْتُهُ أَنَا. فَإِذَا عَظُمَ فِي عَيْنَيْكَ قُلْتَ: أَعْظَمْتُهُ وَاسْتَعْظَمْتُهُ»[25].

■ **التشريف**: « وعَظَمات الْقَوْم. سادتهم وذوو شرفهم»[26].

■ **التفخيم**: « وأعظم الأمرَ وعَظَّمه، أي فخَّمه»(27).

■ **التقوية**: وهو الأصل عند ابن فارس الذي «يَدُلُّ عَلَى كِبَرٍ وَقُوَّةٍ »[28]، واللفظ عند أبي هلال العسكري من هذا المعنى، قال: «وأصل الْكَلِمَة الْقُوَّة وَمِنْه سمي الْعَظِيم عَظِيما لقُوته وَيجوز أَن يُقَال: إِن أَصله عَظِيم الجثة، ثمَّ نقل لعَظِيم الشَّأْن كَمَا فعل بالكبير»[29].

■ **الجليل والأجل**: جاء في تفريق أبي هلال بين عظيم القوم وكبيرهم، فقال: «إن عظيم القوم هو الذي ليس فوقه أحد منهم فلا تكون الصفة به إلا مع السؤدد والسلطان فهو مفارق للكبير»[30]، فإذا أطلق الأجل كَانَ مَخْصُوصًا بعظيم الشَّأْن؛ لأن الْأَجَل «بمَا لَيْسَ فَوْقه من هُوَ أجل مِنْهُ، وَأما الْأَجَل من مُلُوك الدُّنْيَا فَهُوَ الَّذِي يَنْفَرد فِي الزَّمَان بِأَعْلَى مَرَاتِب الْجَلَالَة والجلال... ويوصف المَال الْكثير بِأَنَّهُ جليل وَلَا يُوصف الرمل الْكثير بذلك لما كَانَ من عظم النَّفْع فِي المَال»[31].

■ **الاتساع**: ما اتسع فجاوز حدود العقول «وأصل العظم في الأجسام ثم استعمل في مدركات البصائر، وهي متفاوتة في العظم تفاوت الأجسام، فما لا يتصور أن يكون يحيط العقل أصلاً بكنه حقيقته وصفته منها، فهو العظيم»[32].

وقد استدرك "دوزي" على المعجمات العربية دلالات لم يذكرها المعجميون الأوائل. ومنها:

ازدهى، وتشامخ، واعتز، وصار فاخراً نفيساً، وفخماً جليلاً، و جسيماً خطيراً وخَطراً، وتقدير النفقات والمصاريف تقديراً عالياً، وأعظَم: وجد الشيء صعباً، ومتعذراً عمله، وأعظم: وجده عظيماً فظيعاً شنيعاً، وتعاظم: كان عنيفاً شديداً أليماً، وعُظِّم: فضاعة، وفداحة، وشناعة[33].

ونجد لغتنا المعاصرة في العصر الحالي تميل إلى تخصيص اللفظ في مواضع خاصة، ومنها في الاستعمال المعاصر: "تعظّم بمعنى تجبّر، وعظُمَ على يَعظُم، عِظَمًا، فهو عَظيم، والمفعول مَعْظُوم عليه، وعِظُم الشَّخصُ: كَبُر، وفَخُم، وعلَت مكانتُه"، ومنه قولهم: "اعترف بخطئه فعظُم في نظري، أي: عظُمت منزلتُه بين النَّاس"، وعظُم الأمرُ عليه: صَعُب وشقَّ "وعظُم عليه أن يتفوَّق على غيره"، وتعاظمَ يتعاظم، تعاظُمًا، فهو متعاظم وتعاظم الأمرُ: تفخَّم، تضاعف، وازداد كِبَرًا "تعاظمت المشكلة، وأرباح الشَّركة، وتعاظم الخطَرُ"، ومنه قولهم "هذا أمرٌ لا يتعاظمني: أي: لا يعظُم في عيني ولا أبالي به، وتعاظم الشَّخصُ: تكبَّر، وسما بنفسه وافتخر، ومنه: تعاظم الشَّابُّ؛ لأنّه غنيّ، ويُقال: لا تتعاظم فإنَّ العظمة لله"[34].

ولو اقتصرنا على العلماء الأوائل فسنلحظ مما سبق اتساع دلالة اللفظ عندهم في المعجم العربي لتشتمل على معانٍ متعددة تمثل سمات للفظ، وهي –في ترتيبها بحسب ذكرها عند العلماء–: (التكبير، والتكثير، والتبجيل، والتغليظ، والتحريم، والتهويل، والتشريف، والتفخيم، والتقوية، والاتساع)، ولا يمكن الاقتصار على واحدة منها مع تباينها، ولا سيما الاختلاف في تحديد الأصل منها للفظ، ولكن يمكن القول: إن الأصل المادي يمثل مرحلة في الارتقاء ينزع نحو المعنوي، ومن جهة أخرى أن هذه السمات التي تمثل حيزاً للفظ تستقل في استعمالها عنه، فالكبر مما يستدعي صغيراً يجانبه، وينماز عنه، والكثير يستعمل في التزايد والتضاعف عما هو أدنى منه، والتبجيل في التقدير الحسن للشيء لما فيه من مزية، وحرمة الإنسان منعته التي لا تُقارب لعلو مكانته، وشرفه علوه وارتفاعه وكأننا ننظر إلى ما يشرف به علينا من مرتفعه، والتهويل إخافة للنفس مما لا تتوقع حصوله، والتفخيم في التضخم والاتساع والتقدير، والتقوية من الشدّة والصلابة، والاتساع في الامتداد وتناهي الأطراف.

والتعظيم يكاد يجمع من هذه السمات ما يتصف به بحسب السياق الذي يرد فيه، لكنه يمتاز عنها بأن تلك الصفات تكون في الشيء ذاته، بينما التعظيم في تصور الشيء أو بعبارة الخليل "في عينه"، يستدعي تلازماً في وجود ذات تتصاغر أمام الشيء المعظم، بتفرد خاص للشيء، وكأن ليس فوقه ما هو أكثر منه ارتفاعاً، أو اتساعاً، أو خوفاً وأهوالاً...، ودلالة الـ "تفعيل" تستحضر أمرين: مسمى الحدث المتصف به، وتصوره في الذهن لا في الواقع، فمتى توافر النص على هذه السمات، وهي: (تصوير وجود ذات

متصاغرة أمام حدث متفرد في تفوق صفته) فعُدّ الشيء عظيماً بما عبّر عنه أوهو تعظيم له، وهذا ما يمكن أن نجده في نصوص العلماء -رحمهم الله- نحو:

- **قول الخليل**: «وسمعت خبراً فأَعْظَمتُه، أي: عَظُمَ في عيني. ورأيت شيئاً فاستعظمته. واستعظمْتُ الشيء: أخذت أَعَظِّمُهُ» [35].

- **قول الأزهري**: «وَمن صفَات الله عزّ وجلّ العليّ الْعَظِيم، ويسبّح العَبْد رَبَّه فَيَقُول: سُبْحَانَ ربّي الْعَظِيم، وَقَالَ النَّبي صلى الله عَلَيْه وَسلم (أمّا الرُّكُوع فَعَظمُوا فيه الربّ) أي اجعلوه في أنفسكُم ذَا عَظمَة وعَظَمة الله لَا تكيف وَلَا تُحَدّ وَلَا تمثَّل بِشَيْء، وَيجب على الْعباد أَن يعلمُوا أنه عَظِيم كَمَا وصف نفسَه وَفوق ذَلك بِلَا كيفيَّة وَلَا تَحْدِيد» [36].

- **وقول الأزهري -أيضا-**«وَوصف الله عَذَاب النَّار فَقَالَ: ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البَقَرَة: 114)وَكَذَلكَ الْعَذَاب في الدُّنْيَا، وَوصف كيد النِّسَاء، فَقَالَ: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ (يُوسُف: 28). وَهَذَا على الاستفظاع لَهُ» [37].

- **قول أبي هلال العسكري** في قوله تعالى: ﴿عَذَاب يَوْم عَظِيم﴾ (الأنعام: 15)«فَسَماهُ عَظِيما لعظم مَا فيه من الآلام وَالْبَلَاء وَمَا اتَّسع لأَن يكون فيه الْعَظِيم اسْتحق بِأَن يُوصف أَنه عَظِيم» [38].

ولو وقفنا على مرويات الأزهري [39] وتصفحناها في تهذيبه ؛ لأنها موثقة السند، ودقيقة النقل، وقوفاً على الشاهد المعجمي عنده لوجدنا أن اللفظ يُستعمل مصاحباً مادياً ومعنوياً فمن المصاحبات المادية: مع مستغلظ الذراع واللسان ومع الخال ومع اللحم، ومع البطن ومع المطر، مع الْمِرْفق؛ لأنه مستغلظ الذِّرَاع وَفيه العضلة، والعَضَلة، وَالنّصف الآخر الَّذي يَلي الكفّ يُقَال لَهُ الأسَلة وَدخل فِي عُظْم النَّاس وعَظْمهم أَي فِي مُعْظَمهم، ومع ما يكون على عجيزة المرأة، وفي عَظْم الرجُل

وربما انتقل اللفظ دلالياً إلى مصاحبات معنوية فاستعمل مع صفَات الله عزّ وجلّ العليّ الْعَظِيم، حقيقة، أو تصوراً في تعظيم رب العزة: "اجعلوه فِي أَنفسكُم ذَا عَظمَة".

(1-2)

وردت مادة التعظيم في القرآن الكريم بما يقرب من "112" مائة واثني عشرة مرة [40]، بصيغ صرفية ثلاث: الفعل المضارع "يعظم" بثلاث مرات [41]، بدلالته على التجدد والحدوث والاستمرار والتغيير [42]كقوله تعالى: ﴿ذلكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعائرَ اللّه فَإِنَّها مِنْ تَقْوَى الْقُلُوب (الحج:32)﴾، فالتعظيم هنا الارتقاء القلبي والإجلال في إحياء شعائر الله المنسوبة إليه

على نحو التعظيم له والتشرّف به، تعظيماً دائماً ومتجدداً فيما يُستقبل من الأمر؛ لأغراض متعددة منها الثبات على تقوى القلوب وصفائها ونقائها، ومنها: أنَّ إجلال الشعائر إبقاء لها في نفوس المؤمنين، وكيداً بالمناوئين، قال صاحب اللباب: «ومعنى التعظيم: العلم بوجوب القيام بها وحفظها»[43]، في حين جاءت دلالة الثبوت والدوام أكثر مع الـ"عظيم" في حالتين اسميتين الأولى: صيغة أفعل التفضيل "أعظم" ؛إذ جاءت بثلاث مرات[44]دلالة على إشراك وتفضيل في العظمة والماهية للشيء تصوراً وجودياً له في ذهن السامع، كقوله تعالى:﴿وَما لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّه وَلِلَّه ميراثُ السَّماوات وَالأَرْض لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ أُولئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّه الْحُسْنى وَاللَّه بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(الحديد:10)، إذ اتصفت البنية بثباتها ودوامها الاسمي في موازنة صفتي الانفاق محاججة، قال ابن عرفة في تفسيره: «فإن قلت: قاعدة البيانيين في حسن الإيلاف مراعاة المشاكلة في الألفاظ، والمناسب للدرجات العلو، فيقال: درجة فلان، ومنزلته أعلى من درجة فلان، ويقال: قدر فلان أعظم من قدر فلان، فهلا قيل: هنا أولئك أعلى درجة، فالجواب: أن قوله أعظم اقتضى التفاوت بينهما في القدر وعلو الدرجات، فهو أعم فائدة»[45]، وجاء في التحرير والتنوير: «فَإِنَّ اسْمَ التَّفْضِيلِ يَدُلُّ عَلَى الْمُشَارَكَةِ فِيمَا اشْتُقَّ مِنْهُ اسْمُ التَّفْضِيلِ وَزِيَادَةِ مَنْ أُخْبِرَ عَنْهُ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ فِي الْوَصْفِ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ، أَيْ فَكِلَا الْفَرِيقَيْنِ لَهُ دَرَجَةٌ عَظِيمَةٌ، وَحُذِفَ قِسْمُ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ إِيجَازًا لِدَلَالَةِ فِعْلِ التَّسْوِيَةِ عَلَيْهِ لَا مَحَالَةَ، وَالتَّقْدِيرُ: لَا يَسْتَوِي مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَمَنْ أَنْفَقَ بَعْدَهُ، وَالدَّرَجَةُ: مُسْتَعَارَةٌ لِلْفَضْلِ لِأَنَّ الدَّرَجَةَ تَسْتَلْزِمُ الارْتِقَاءَ، فَوَصْفُ الارْتِقَاءِ مُلَاحَظٌ فِيهَا، ثُمَّ يُشَبَّهُ الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ بِالارْتِقَاءِ فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالدَّرَجَةِ»[46]، وتكررت صيغة "فعيل" "106" مائة وست مرات، ولم ترد إلا دالة على الصفة النحوية نعتاً للموصوف، توكيداً بيانياً لموصوفه عمّا يعتريه من انشغال عنه، يستلزم توضيح الموصوف لا النيابة عنه أو تمييزه من مشتركه، وقد جاء الموصوف معها بحالات ثلاث: (الأحداث فعلية، والذوات، والزمن)، ولم يرد موصوفاً مكانياً في القرآن الكريم للـ"عظيم"؛ إذ تكررت "الأحداث الفعلية التي يقوم بها الإنسان، أو تكون جزاء لفعل يُجازى به" ما يقرب من "80" ثمانين مرة (من الأكثر):(الأجر[47]، والفوز[48]، والعذاب[49]، والفضل[50]، والكرب[51]، والبلاء[52]، والبهتان[53]، والنبأ[54]، وجاءت الأحداث الآتية موصوفة مرة واحدة

(الأثـــم[55]، والحنث[56]، والخزي[57]، والخُلق[58]، والسحر[59]، والظلم[60]، والقسم[61]، والقول[62]، والكيد[63]، والمُلك[64]، والميل[65]».

والـــذوات موصـوفة بمـا يـقـرب من "16" ست عشـرة مـرة: (العرش[66]، وربك[67]، وشيء[68]، والعلي[69]، والحظ[70]»، والذوات الآتية مرة واحدة: (الذات المقدسة "لفظ الجلالة"[71]، وذبح[72]، ورجل[73]، والطود[74]، والقرآن[75]».

والموصوف زمناً بما يقرب من "10" عشر مـرات مع لفظ اليوم تخصيصاً للدلالة على يوم القيامة إما بوصف عذابه "عذاب يوم عظيم" بـ"8" ثمان مرات[76]، أو أهوال يوم القيامة "يوم عظيم" بمرتين[77].

ومما يُلحظ في صيغة "فعيل" الاتصاف والـدوام من جهة الاسمية، ومـن جهة دلالة الصيغة على اتصاف صاحبها بها وملازمتها له وكأنها طبيعة فيه لا تفارقه صفة من شدة المزاولة[78]، فلذلك وصف العذاب بأنه عظيم في موضع، وأليم[79]أو شديد[80]مع لحظ الفارق بين الألم من الوجع[81]فيما تحدثه من وجع عند المعذَّب، والشدة في قوته وسرعته وبأسه[82]فيما يكون في الجنس العذاب نفسه، في حين العظيم الهول في تصوره ولا يمكن تحمله أو الإحاطة به؛ لذلك يكون في الغالب مرتبط بعالم الآخرة تخويفاً وتهديداً[83].

وإذا ما نظرنا إلى منهج الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ في منهجها البياني في الدرس القرآني[84]، وما قدمته من ثراء الدراسة في مدونة تُغلق على نفسها تفسيراً ببعضه، لتبيان النص الكريم من نفسه فتتوسل بوسائله البيانية، توضيحاً وبياناً ؛ فسنقف على دلالة التعظيم في سياقات التوارد القرآني، وتضامّ أطرافه لبعضها، قال تعالى:

- ما يَوَدُّ الَّذينَ كَفَرُوا منْ أَهْل الْكتاب وَلاَ الْمُشْرِكينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ منْ خَيْرٍ منْ رَبِّكُمْ وَاللَّه يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشَاءُ وَاللَّه ذُو الْفَضْل الْعَظيم (البقر:105).

- وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ مَنَعَ مَساجدَ اللَّه أَنْ يُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ وَسَعى في خَرابها أُولَئكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إلاَّ خائفينَ لَهُمْ في الدُّنْيا خزْيٌ وَلَهُمْ في الآخرَة عَذابٌ عَظيمٌ (البقرة:114).

- يَخْتَصُّ برَحْمَته مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْل الْعَظيم (آل عمران: 74).

- الَّذينَ اسْتَجابُوا للَّه وَالرَّسُول منْ بَعْد ما أَصابَهُمُ الْقَرْحُ للَّذينَ أَحْسَنُوا منْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظيمٌ (آل عمران: 172).

- فَانْقَلَبُوا بنعْمَة منَ اللَّه وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رضْوانَ اللَّه وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظيمٍ (آل عمران: 174).

- تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (النساء: 13).

- يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (26)وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً (النساء: 27).

- إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلِكَ لِمَنْ يَشاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرى إِثْماً عَظِيماً (النساء:48).

- أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً (النساء:54)

- وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيماً (النساء:156).

- لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الأعراف:59).

- قالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجاؤُ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (الأعراف: 116).

- وَإِذْ أَنْجَيْناكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذابِ يُقَتِّلُونَ أَبْناءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (الأعراف: 141).

- يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (الأنفال: 29).

- أَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ خالِداً فِيها ذلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ

(التوبة:63)

- فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (التوبة:129).

- فَلَمَّا رَأى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (يوسف:28).

- وَلَقَدْ آتَيْناكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (الحجر: 87).

- أَ فَأَصْفاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلائِكَةِ إِناثاً إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلاً عَظِيماً

(الإسراء:40)

- وَنُوحاً إِذْ نادى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنا لَهُ فَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (الأنبياء: 76).

- يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (الحج: 1).

- فَأَوْحَيْنا إِلى مُوسى أَنِ اضْرِبْ بِعَصاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (الشعراء:63).

- إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ

كُلِّ شَيْءٍ وَلَها عَرْشٌ عَظِيمٌ (النمل:23).

- اللّه لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (النمل:26).

- فَخَرَجَ عَلى قَوْمِه في زِينَتِه قالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَياةَ الدُّنْيا يا لَيْتَ لَنا مِثْلَ ما أُوتِيَ قارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (القصص:79).

- وَإِذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (لقمان: 13).

- لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (الشورى:4)

نلحظ أن سياقات لفظ "العظيم" في القرآن الكريم دالّة على: (الاتساع وتناهي الوصف الذي لا يُحاط بكنه معرفته؛ إما لشدة وقعه، أو في نفسه، تصويرياً لغيره؛ مع ملازم للخارج في الغالب)، وقد ذكر صاحب التحقيق أن الأصل في استعمال المادة في القرآن الكريم: «هو ما يقابل الحقير، وهو ما يكون متفوقاً في القوة والسؤدد في مادّيّ أو معنويّ»[85].

ومما يُلحظ في الفارق الدلالي بين المعجم العربي والنص الكريم في استعمال العظيم: أن الشواهد المعجمية شواهد في الغالب ذات طبيعة مادية فعلية ذات دلالة متجددة، في حين أنها في النص القرآني اسمية تدل على الثبات والدوام دلالة على المعنوي، ولم يأت "فعيل" إلا صفة توكيدية لموصوف أكثر ما يكون حدثاً والقلة فيه التعبير عن الذات، مع ملازمة القرآن الكريم للحدث الخارجي المتصف بعظمته حقيقة، وتفسير ذلك ينطلق من الدلالة المعجمية لمادة (ع ظ م) التي كان لها حضور في توجيه التعبير في البنيات القرآنية.

(2)

(2-1)

إن اتضاح دلالة مادة التعظيم في المعجم اللغوي بحسب الذاكرة العربية، وافتراقه نوعاً ما عن المعجم القرآني؛ ليدل على أن تلك الدلالة تتحقق في وجودها الخارجي بوصفها هوية اللفظ وطريقة استعماله للموجودات الخارجية من صفات وَسَمَها القرآن الكريم بأنها عظيمة بوجودها الحقيقي كـ(إن اللّه ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (البقر:105)، وإن الذي منع مساجد اللّهَ له عَذابٌ عَظِيمٌ (البقرة:114)، وإن للذين اتَّقَوْا أَجْراً عَظِيماً (آل عمران: 172)، وإن إطاعة اللّه هي الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (النساء: 13)، والذين يتبعون الشهوات يعدّ مَيْلاً عَظِيماً (النساء: 27)، وإن الاشراك باللّه إِثْماً عَظِيماً (النساء:48)، وَإِتاء آل إبراهيم مُلْكاً عَظِيماً (النساء:54)، وَقَوْل اليهود

عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظيماً (النساء:156)، والَخوفُ عَلَى العباد من عَذاب يَوْم عَظيم (الأعراف:59)، وما جاء به سحرةً فرعونَ سحر عَظيم (الأعراف: 116)، وبَلاء آل فرعون مِنْ البارئ بلاء عَظيمٌ (الأعراف: 141)، وعصيان الله ورسوله خِزْي عَظيم (التوبة:63)، وإن الله -عزّ وجلّ- هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيم (التوبة:129، النمل: 26)، ووصف الْقُرْآنَ بأنه عَظيم (الحجر: 87)، واصطفاء الملائكة أناثاً قَوْل عَظيم (الإسراء:40)، وإنجاء نوح من الْكَرْب الْعَظيم (الأنبياء: 76)، وإن زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَيْءٌ عَظيمٌ (الحج: 1)، وانفلاق البحر لموسى كَالطَّوْد الْعَظيم (الشعراء:63)، وخشية الظُّلْم العَظيم (لقمان: 13)، وإن البارئ هو الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (الشورى:4).

إن هذا الوجود الخارجي الآنف الذكر يقابله وجود آخر يمكن أن نعده وجوداً ذهنياً خاصاً بحسب التصور، وإن كان خلاف الخارج ؛ لكن ما يشفع لصحته أنه تصور محض يأتي اختيار منظومة الألفاظ بما ينسجم ورؤاه اللغوية تعبيراً فكرياً يكون تطبيقاً لموضوع السورة وشاهداً عليها بطريقة ما، كوصف الهدهد -من وجهة نظره وحجمه- لعرش بلقيس بأنه عَرْشٌ عَظِيمٌ (النمل:23)، في حين أن رب العزة يتصف في الخارج الحقيقي بالْعَرْشِ الْعَظِيم (النمل:26)، أو كوصف المفتونين بزينةَ قارون من جهة أطماعهم وشهواتهم وما يتمنونه بأنه أوتي حَظاً عَظِيماً (القصص:79)، أو كقول العزيز في مخاطبة نساء البلاط الفرعوني: إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (يوسف:28)، كله بخلاف الواقع الخارجي اعتماداً على تصورٍ خاص.

إن كلا التصورين الخارجي والذهني يختلفان عن التعبير اللساني على الحدث الفعلي، فيمكن أن نصف التصورين الخارجي والذهني بـ"الاتساق المنطقي" للغة، في حين أن التعبير عن حالة التعظيم الوجودي -مثلاً- يمكن تسميته بـ"الاتساق اللساني" وهو طريقة في التعبير عن ذلك الوجود (ببعديه)تعبيراً لسانياً خالصاً، بأن يتخذ له مسار "تأدية المعنى"، و"إفادته"، وهذا ما يفتح الآفاق على دراسة اللغة تعبيراً عن فكر ما؛ لأن الفكر يؤدى بلغة تعبر عن مكوناته الثقافية والاجتماعية والنفسية، فمثلاً لو أريد التعبير عن قضية ما بأنها تتسم بالتعظيم، فكيف يمكن نقلها، أو إيجادها لسانياً لتعبر عن التعظيم (وهو: تفرد الشيء اتساعاً وتناهي الوصف الذي لا يُحاط بكنه معرفته أمام تصاغر موهوم)؟، ما الطرائق الممكنة لغوياً لإتاحة مثل ذلك التعبير قرآنياً؟ وما الأنماط اللسانية وصورها في طرائق استعماله تعظيماً؟.

إن التعبير القولي عن التعظيم الواقعي بوجوده الخارجي في التعبير القرآني قد وجدناه يتخذ مسارين عامين، الأول: التعبير اللساني القرآني المعنوي في الدلالة المعجمية وما يُحيط بها بطريق مباشر، والآخر الاتساق اللساني القرآني اللفظي في البنى التركيبية ببعدين: التعبير باللفظ، والتعبير عن اللفظ بطريق غير مباشر.

فمن المسار الأول في الطريق المباشر في التعبير عن الاسم يمكن أن نلحظ جانبين، الأول: تعبير عن التعظيم بوجودي خارجي اسمي "يُنقل" ليُعبر باشراك سمة بينهما مع بقاء اللفظ المعبَّر به محتفظاً بسماته اللغوية وهويته، والأبعاد الفنية والنكت تمتاز بنقله بوساطة سياق جديد فيحدث اشترك في سمة؛ بسبب من الاستعمال في سياق تعظيمي يعدّ مائزاً للفظ، ومن ذلك: -على نحو التمثيل-: (التسبيح، التكبير، الحب، الحمد، الخشية، السجود، الصلاة، العبادة، الوقار...)

■ **التسبيح بوصفه دالا** على التعظيم في قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ﴾ (آل عمران:41)، وهو اسم من الأسماء الدالة على الصلاة في هذين الوقتين سُمّيت بذلك تعظيماً لها عن الغفلة، قال الزجاج (ت311هـ): « قيل سبَّح: صل، ويقال فرغت من سبحتي (أي): من صلاتي، وإنما سُمّيت الصلاة تسبيحاً لأن التسبيح تعظيم الله وتبرئته من السوء فالصَّلاة يُوحَّد الله فيها ويحمد »[86]، وقال: « ومعنى يُسبحون الله، أي يُصلُّون له. والتسبيح في اللُّغة تعظيم الله وتنزيهه عن السوء»[87]، والتسبيح فيه تعظيم لله -عزّ وجلّ-[88]؛ لأن فيه تنزيهاً على نحو التفرد والإجلال وهي السمة التي اشتركا فيها.

■ **التكبير**: قال تعالى: ﴿ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة:185)، قال الزمخشري: (ت538هـ): « فإن قلت: ما المراد بالتكبير؟ قلت: تعظيم الله والثناء عليه. وقيل: هو تكبير يوم الفطر. وقيل: هو التكبير عند الإهلال»[89]، فالمبالغة تكون في الكبر لا الكثرة، لذلك يقال: كبائر الإثم(النجم: 32)، أو كبائر ما تنهون عنه(النساء:31) [90]، وهي صفة التعظيم[91]، وهو فعل لفظي، وسمة الاشتراك أن الموجودات كلها لا تضاهي عظمة البارئ، ولا تشترك معه بصفة الكبر.

■ **الحب**: قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: 165)، جاء في التفسير: «ومعنى: يُحِبُّونَهُمْ يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب»[92]، وحب الله لعباده رضاه عنهم، ومحبة العبد لربه:

تعظيم، و« تعظيم الله طلب الزلفى، لديه، والتقرب إليه بطاعته»[93]، فسمة الخضوع والطاعة والتصاغر أمام علو مكانة المحبوب سمة إشراك بينهما.

■ **الحمد**: قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ للّه الَّذي خَلَقَ السَّماوات وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمات وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (الأنعام: 1)﴾ قال ابن فورك (ت406هـ): « الحمدُ: الوصف بالجميل على جهة التعظيم»[94]، لما يصدر عن البارئ من فعل حسن، وهو أعم من المدح، ومن الشكر[95]، فالتعظيم فيه من جهة اللفظ، ومن جهة المعنى[96]، والسمة المشتركة هي أن في عطائه لا يفنى، وبغير الاسمية لا يتحقق المراد[97].

■ **الخشية**: قال تعالى: ﴿وَالَّذينَ يَصلُونَ ما أَمَرَ اللّه به أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخافُونَ سُوءَ الْحساب﴾ (الرعد: 21)، قال الفخر الرازي(ت606هـ): «وَإِنْ أَتَى بِكُلِّ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ اللَّهِ، وَفِي الشَّفَقَةِ عَلَى خَلْقِ اللَّهِ إلَّا إنَّهُ لَا بُدَّ وَأَنْ تَكُونَ الْخَشْيَةُ مِنَ اللَّهِ وَالْخَوْفُ مِنْهُ مُسْتَوْلِيًا عَلَى قَلْبِهِ»[98]، والخشية «خَوْفٌ يُوجِبُ تَعْظِيمَ الْمَخُوفِ مِنْهُ»[99]والخشية تتضمن هيبة للذات المقدسة، والخوف من النتيجة، وهو توقع اكتساب العذاب، فسمة الاشتراك الجلال في قدر البارئ -عزَّ وجلّ-.

■ **السجود**: قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائكَة اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْليسَ قالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طيناً﴾ (الإسراء:61)، قال الثعلبي (ت427هـ): هي « سجدة تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة »[100]، وسجود الملائكة هو «تَمْثِيلٌ لِحَالَةٍ فِيهِمْ تَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمٍ»[101]، الامتثال والطاعة إجلالاً سمة مشتركة.

■ **الصلاة**: قال تعالى: ﴿إنَّ اللّه وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبيِّ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْه وَسَلِّمُوا تَسْليماً﴾ (الأحزاب:56)، إن صلاة الله -عزّ وجلّ- على الحبيب المصطفى فيها تعظيم له قال الرازي: « جَعَلَ الصَّلَاةَ للّه وعطف الملائكة على الله، وهاهنا جَمَعَ نَفْسَهُ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَسْنَدَ الصَّلَاةَ إلَيْهِمْ فَقَالَ: يُصَلُّونَ وَفِيهِ تَعْظِيمُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهَذَا لِأَنَّ إفْرَادَ الْوَاحِدِ بِالذِّكْرِ وَعَطْفَ الْغَيْرِ عَلَيْهِ يُوجِبُ تَفْضِيلًا لِلْمَذْكُورِ عَلَى الْمَعْطُوفِ»[102]، فالسمة الغالبة تفضيل الرسول الأكرم -ص- بالفعل وحده لمكانته.

■ **العبادة**: قال تعالى: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ﴾ (الفاتحة: 5)، جاء في تفسير الرازي:«الْعِبَادَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الْفِعْلِ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ لِغَرَضِ تَعْظِيمِ الْغَيْرِ، ... وَاعْلَمْ أَنَّ قَوْلَكَ إيَّاكَ نَعْبُدُ مَعْنَاهُ لَا أَعْبُدُ أَحَدًا سِوَاكَ، ... وَإِنَّ الْعِبَادَةَ عِبَارَةٌ عَنْ نِهَايَةِ التَّعْظِيمِ، وَهِيَ لَا تَلِيقُ إلَّا بِمَنْ صَدَرَ عَنْهُ غَايَةُ الْإِنْعَامِ،

وَأَعْظَمُ وُجُوهِ الْإِنْعَامِ الْحَيَاةُ الَّتِي تُفِيدُ الْمُكْنَةَ مِنَ الِانْتِفَاعِ وَخَلْقُ الْمُنْتَفَعِ بِهِ»[103]، والعبادة مما تناسب الخضوع للّه، والعبادة: « فِعْلٌ يَدُلُّ عَلَى الْخُضُوعِ أَوِ التَّعْظِيمِ الزَّائِدَيْنِ عَلَى الْمُتَعَارَفِ بَيْنَ النَّاسِ. وَأَمَّا إِطْلَاقُهَا عَلَى الطَّاعَةِ فَهُوَ مَجَازٌ. وَالْعِبَادَةُ فِي الشَّرْعِ أَخَصُّ فَتُعَرَّفُ بِأَنَّهَا فِعْلُ مَا يُرْضِي الرَّبَّ مِنْ خُضُوعٍ وَامْتِثَالٍ وَاجْتِنَابٍ، أَوْ هِيَ فِعْلُ الْمُكَلَّفِ عَلَى خِلَافِ هَوَى نَفْسِهِ تَعْظِيمًا لِرَبِّهِ، ... (وهي) تَعْظِيمُ أَمْرِ اللَّهِ وَالشَّفَقَةُ عَلَى الْخَلْقِ»[104]، فالانقياد للكمال المطلق يشترك بينهما.

فيلحظ أن الـ"تعظيم" يمكن أن يُعبَّر عنه بغيره اشراكاً لسمته، على نحو قصدي لإضفائه على الموضوع المتحدث عنه بما يلائم سياقه.

(2-2)

إن التعبير عن المسمى الخارجي بوجود غيره يعدّ استعمالاً وطريقة في التعبير القرآني في اشراك المفهومين لجهة واحدة، ويمكن التعبير عن الشيء بأحد أجزائه أو صفاته إظهاراً لمكانته التي يتسم بها تعظيماً له، وقد ورد مثل هذا الشيء الكثير -كغيره- في القرآن الكريم تعبيراً طريفاً، ويمكن أن يُفسر بأن التعبير بأجزاء "الشيء" (ذاتاً، أو حدثاً، أو زماناً، أو مكاناً) ينطلق من وجهة نظر سياقية من داخل النص تصويراً بما ينسجم موقفياً عمّا يجري، من ذلك:

■ استعمال أجزاء من الإنسان في تعظيم البارئ -عزّ وجلّ- كالوجه والعين واليد بما تدل عليه من وظائف اجتماعية عند بني البشر، وتصور عظمة الغائب قياساً على الشاهد بما ينسجم مع السياق اللغوي الذي ترد فيه تصوراً لحالة الانسان ومحيط بيئته.

- **العين**، قال تعالى: ﴿أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (طه: 39)، وقال تعالى ذكره: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾ (المؤمنون: 27)، وقال -عزّ وجلّ-: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ (الطور48)، وقال تعالى اسمه: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13)تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾ (القمر14).

العين للإنسان باصرة يرى الأشياء بها، واستعمالها في النص الكريم تجاوزاً لهذا المعنى الحرفي إلى الوظيفة التي تؤدى لها، وهي الحفظ والرعاية والكلأ، ولا سيما أن الأفعال التي وردت من صنع الفلك، والجري في موج كالبحر، وإلقاء المحبة، والصبر على الدين من الأعمال التي بها حاجة إلى توفيق إلهي وتسديد رباني، فضلاً عن أن الإنسان

به حاجة إلى هذه الرعاية والحفظ من لدن حكيم عليم عزيز، فسياق الأعمال التي ورد ذكرها، تجعل من الإنسان -وهو مستعمل اللغة- يتصور تلك الرعاية برقابيتها وتعهدها من البارئ بأدوات الإنسان الاجتماعية التي يتواصل بها، فجاء الاختيار على هذه الأداة التي تؤدي هذا الغرض من الإنسان نفسه لتكون حجة عليه.

- **الوجه**: كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 115)، ومثله: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً﴾ (الإنسان:9-8)، وقوله: ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلهاً آخَرَ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)﴾ (القصص: 88).

يُلحظ أن الفعل في سورة البقرة فعل عبادي، وفي سورة الإنسان فعل إنفاقي يقوم على العبادة الاجتماعية بين البشر أنفسهم، في حين في سورة القصص عقدي، والتعبير بالأشرف من جهة اختيار الإنسان لقصده، في الذات أو الجاه، هو ما يسعى الإنسان إليه فيما سبق من أفعال، وجاء التعبير بالوجه طلباً لتعظيم الله -عزّ وجلّ-[105] في تحقق مكافأة العمل والإخلاص فيه مجازاة لدوام العطاء وبقائه لمستحق الأعيان ممن هو أعلى مراتب العلو، ففي أقباله: الرضا والقبول، وفي الإعراض السخط والزلل؛ لذلك فإن الوجاهة وعلو الرتبة حاضرة في خطاب الحضرة المقدسة بأكرم أدوات الإنسان وأرفعها شأناً وهو الوجه عنده.

- اليد: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد29)، وقال جلّ وعلا: قالَ يا إِبْلِيسُ ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ (ص:75).

استحقت اليد الشرف والرفعة من إضافتها إلى البارئ -عزّ وجلّ-، مرة بالاسم الصريح على الذات المقدسة، وأخرى بياء التكلم، وفي "سورة الحديد" لعطائه الكريم وما يغدقه على العبد من عطاء لا حاجة له -وهو المستغني عن عباده-، وكل ما يُعطي العبد فهي كرامة ونعمة، وفي "سورة ص" جاءت في سياق التقريع وشدته لإبليس، بخطابه له، وبتقريعه استفهاماً وكأن فعل المنع لا حاجة إلى إثباته في الخارج أو نفيه لتحققه توبيخاً للامتناع استجابة لأمر السجود طاعة لمن عظمه الباري -عزّ وجلّ- بوسمه بالخلق على نحو الفاعلية له، ثم أن الخلق بيدين تعظيم للمخلوق، فالإنسان إذا أجاد بعمله يقول: صنعت بيديَّ، فكانت اللغة وهي إنسانية محض، صورت فعل الإجادة بتصور الإنسان، لأن اليد عند الإنسان أداة

العطاء والعمل والقدرة والقوة، وهي الجزء الرئيس عنده لقيامه بالفعل.

مما سبق يُلحظ تصور الفعل من وجهة نظر الإنسان بما يعيه بنو البشر للأدوات من وظائف عنده، وهذا ما يمكن تسميته بـ"الاختيار على وفق الجهة" واختيار اللفظ مما يطلبه سياق القول في الآية الكريمة القائم على الاختيار الدقيق، والتعبير عن عظمة البارئ -جلّ وعلا- وتفرده تصوراً له من جزء- تمثيلاً للكل بشرف جزئه الموافق لنظم التركيب القرآني، وسياقه في دقة الاختيار.

■ تسمية البارئ -عزّ وجلّ- بأسمائه وصفاته الجليلة القدر مراعاة لدقة السياق القرآني في اختيارها دونما غيرها من الأسماء ومتطلبات التوارد المعجمي، وهي من الأجزاء المعنوية للبارئ -عزّ وجلّ- في أسمائه وصفاته الشريفة، وهو أن يُختار اللفظ بهويته ووجوده المنطقي الخارجي تعظيماً وتفرداً ليدل على جهة الحق -علا شأنه-، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ (المؤمنون: 116)، فهو «على معنى صفته فوق كل صفة لغيره، فهو تعظيم لله بأن كل شيء سواه يصغُر مقداره عن معنى صفته، والملك الحق: الذي يحقّ له الملك بأنه ملك غير مُملّك، وكل ملك غيره فملكه مستعار له، وإنما يملك ما ملكه الله؛ فكأنه لا يعتد بملكه في ملك ربه»[106]، وفي قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 268)، قال ابن عادل (ت775هـ): « المقصود تعظيم حال هذه المغفرة؛ لأنَّ عظم المعطي يدلُّ على عظم العطيَّة»[107]، وقوله -جلّ شأنه-: ﴿لا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (سبأ: 23)، قال ابن عاشور: « وَجُمْلَةُ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ تَتِمَّة جَوَابَ الْمُجِيبِينَ، عَطَفُوا تَعْظِيمَ اللَّهِ بِذِكْرِ صِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِ جَلَالِه، وَهُمَا صِفَةُ الْعَلِيِّ وَصِفَةُ الْكَبِيرُ، وَالْعُلُوُّ: عُلُوُّ الشَّأْنِ الشَّامِلُ لِمُنْتَهَى الْكَمَالِ فِي الْعِلْمِ، وَالْكِبْرُ: الْعَظَمَةُ الْمَعْنَوِيَّةُ، وَهِيَ مُنْتَهَى الْقُدْرَةِ وَالْعَدْلِ وَالْحِكْمَةِ، وَتَخْصِيصُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ لِمُنَاسَبَةِ مَقَامِ الْجَوَابِ، أَيْ قَدْ قَضَى بِالْحَقِّ لِكُلِّ أَحَدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ فَإِنَّهُ لا يَخْفَى عَلَيْهِ حَالُ أَحَدٍ وَلا يَعُوقُهُ عَنْ إِيصَالِه إِلَى حَقِّه عَائِقٌ وَلا يَجُوزُ دُونَهُ حَائِلٌ»[108]، ومنه التعظيم بمقام البارئ -عزّ شأنه- كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه جَنَّتَانِ﴾ (الرحمن:46)، وقال: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ (إبراهيم:14)، ومقام البارئ -عزّ وجلّ- «مَجَازٌ عَنِ الْجَلَالِ وَالْمَهَابَةِ وَأَصْلُ الْمَقَامِ مَكَانُ الْقِيَامِ فَكَانَ

أَصْلُهُ مَكَانَ مَا يُضَافُ هُوَ إِلَيْه، ثُمَّ شَاعَ إِطْلَاقُهُ عَلَى نَفْس مَا يُضَافُ إِلَيْه عَلَى طَرِيقَة الْكِنَايَة بِتَعْظِيم الْمَكَان عَنْ تَعْظِيم صَاحِبه »[109].

■ اللفظ الدال على الذات المقدسة يشعر بعظمه المشار إليه، فيكون دلالة على التعظيم في نفسه[110]وفيما يلحقه معه، ويكون بحالات متعددة، منها بالإفراد عنه إذا عطف عليه أو أضيف إلى غيره، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّه وَمَنْ يُطِع اللَّه وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَذلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (النساء:13)، الظاهر في أن العطف فيه إشراك في الفعل، ولكن القول في القرآن الكريم مغاير لأصل القاعدة، فكلما عطف على الاسم الكريم –حتى لو كان بأحب الخلق إليه وهو الرسول الأعظم –ص–، يُفرِد ذكر الفعل، فقال عزَّ اسمه: (وَمَنْ يُطِع اللَّه وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ)وقال تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ يُطِع اللَّه وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذاباً أَلِيماً﴾ (الفتح: 17)، وقال –عزّ وجلّ–: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ ناراً خالِداً فِيها وَلَهُ عَذابٌ مُهِينٌ﴾ (النساء:14)، فجاء الجواب والعطف بـ(يدخله، ويتعد حدوده، ويدخله)بالضمير المفرد تعظيماً للبارئ جلّ شأنه، بل يصل التأكيد على أن الفعل منسوب إلى البارئ –عزّ وجلّ– تعظيماً له ولفعله، كقوله –عزّ من قائل–: ﴿مَنْ يُطِع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطاعَ اللَّه وَمَنْ تَوَلَّى فَما أَرْسَلْناكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ (النساء:80)، وقال جلَّ اسمه: ﴿وَمَنْ يُطِع اللَّه وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّه وَيَتَّقْه فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ﴾ (النور: 52)، فقد افردتْ: (طاعة اللّه، وخشية اللّه)، وكأن فيه نفياً للشرك حتى في اللفظ نفسه، فقد روي في السير: «جَاءَ رَجُلَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَشَهَّدَ أَحَدُهُمَا، فَقَالَ: مَنْ يُطِع اللَّه وَرَسُولَهُ، فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " بِئْسَ الْخَطِيبُ أَنْتَ، قُمْ " »[111]، وقد تَغَيَّرَ وَجْهُ النَّبِيِّ –ص– وَكَرِهَ ذَلِكَ[112].

■ من التعظيم بما يضاف إلى اسمه الكريم تخصيصاً به وتشريفاً له: كـ"شعائر اللّه"[113]، و«إضافتها إلى اسمه: تعظيم لها»[114]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِه يا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّه إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زاغُوا أَزاغَ اللَّه قُلُوبَهُمْ وَاللَّه لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾ (الصف:5)، فتعظيم الرسول تعظيم لله –عزّ وجلّ–، وتكذيبه أو عصيانه تكذيب لله؛ لذلك فإن«قضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي، لأن من عرف اللّه وعظمته عظم رسوله، علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله»[115]، ومنه "دار السلام"(الأنعام: 127)؛ لأن«

السَّلَامَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّه تَعَالَى فَدَارُ السَّلَام هِيَ الدَّارُ الْمُضَافَةُ إِلَى اللَّه تَعَالَى كَمَا قِيلَ لِلْكَعْبَةِ بَيْتُ اللَّه تَعَالَى وَلِلْخَلِيفَةِ عَبْدُ اللَّه»[116]، و"كتاب الله"[117]، وقد ترد الإضافة إلى ضمير دال عليه، فاجتمع تعظيمان: تعظيم الاسم، وتعظيم كنايته، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْراهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ أَنْ طَهِّرا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (البقر:125)، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنا لِإِبْراهِيمَ مَكانَ الْبَيْتِ أَنْ لا تُشْرِكْ بِي شَيْئاً وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (الحج:26)، فقد أضيف البيت إلى ضمير المتكلم الدال على البارئ -عز وجلّ- «وَالْكَعْبَةُ بَيْتٌ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعِبَادَةِ اللَّه وَحْدَهُ دُونَ شَرِيكٍ فَيَأْوِي إِلَيْهِ مَنْ يَدِينُ بِالتَّوْحِيدِ وَيَطُوفُ بِهِ مَنْ يَقْصِدُ تَعْظِيمَ اللَّه تَعَالَى وَلِذَلِكَ أَضَافَهُ إِلَى اللَّه تَعَالَى بِاعْتِبَارِ هَذَا الْمَعْنَى»[118]، فاكتسب المضاف تعظيمه مما أضيف إليه، كقوله تعالى في وصف الرسول: "رسولنا"[119]تأدية للبلاغ والرسالة « وَفِي إِضَافَةِ الرَّسُولِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَلَالَةِ تَعْظِيمٌ لِجَانِبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَإِقَامَةٌ لِمَعْذِرَتِهِ فِي التَّبْلِيغِ بِأَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلَوْ شَاءَ مُرْسِلُهُ لَهَدَى الْمُرْسَلَ إِلَيْهِمْ فَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا فَلَيْسَ ذَلِكَ لِتَقْصِيرٍ مِنَ الرَّسُولِ»[120]، وفيه تشريف للرسول الأكرم -ص- بعزّ الإضافة إلى البارئ -عزّ وجلّ- متكلماً[121]، فالإضافة أكسبت المضاف تعظيماً وتشريفاً له، ومنه: "نور الله"[122] في محاولة لإطفائه بعد أن عمّ وانتشر، و"ناقة الله"[123]، ورب الأرض[124]، ورب السماوات[125]؛ لذلك نجد من يستعمل هذه الصفة بغير مكانها قال تعالى: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصارى نَحْنُ أَبْناءُ اللَّه وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ وَلِلَّه مُلْكُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (المائدة: 18)، وقد يكتسب المضاف إليه شرفاً وعظمة من المضاف نفسه، كقوله تعالى: ﴿أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: 5)، فقد شرفهم الله -عزّ وجلّ- بإضافة الرّب إليهم تعظيماً لشأن المضاف إليه[126].

■ ومن التعظيم بالأجزاء ما يكون بإضافة صفة من صفاته تُضيف إلى الهُويّة بعداً تعظيمياً وتفرداً باتساعها فلا يمكن الإحاطة بها صفة، ومن ذلك تعظيم الرسول الأكرم -ص- بصفاته وسماته تعظيماً له في مواقف يتطلبها السياق رفعاً له وعزاً، من ذلك مخاطبة الرسول الأكرم -ص-، قال الحق المتعال: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْواتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

أَعْمالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ (2)إِنَّ الَّذينَ يَغُضُّونَ أَصْواتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّه أُولئِكَ الَّذينَ امْتَحَنَ اللَّه قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3)﴾ (الحجرات: 3-2)، قال الزجاج: « أمرهم اللّه - عزَّ وجلَّ - بتبجيل نبيِّه عليه السلام، وَأَنْ يَغُضوا أَصْوَاتَهُمْ وأن يخاطبوه بالسكينة والوقار، وأن يفضلوه في المخاطبة، وذلك مما كانوا يفعلونه في تعظيم ساداتهم وكبرائهم، ومَعنى (كَجَهْرِ بَعْضِكُم لِبَعْض)أي لا تنزلوه منزلةَ بعضكم من بعض»(127)، ولذلك نجد أن القرآن الكريم خاطبه بالتعظيم والتبجيل، وجاء في أضواء البيانِ: «وَقَدْ دَلَّتْ آيَاتٌ مِنْ كِتَابِ اللَّه عَلَى أَنَّ اللَّه تَعَالَى لَا يُخَاطِبُهُ فِي كِتَابِهِ بِاسْمِه، وَإِنَّمَا يُخَاطِبُهُ بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّعْظِيمِ وَالتَّوْقِير، كَقَوْلِه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ (التوبة: 73)، يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ (المائدة:41)، يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (المزمل: 1)، يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (المدثر: 1)، مَعَ أَنَّهُ يُنَادِي غَيْرَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ كَقَوْلِه: وَقُلْنَا يَا آدَمُ (البقرة: 35)، وَقَوْلِه: وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (الصافات:104)، وَقَوْلِه: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ (هود: 46)، قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا (هود: 48)، وَقَوْلِه: قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ (الأعراف: 144)، وَقَوْلِه: إِذْ قَالَ اللَّه يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ (آل عمران: 55)، وَقَوْلِه: يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً (ص:29)، أَمَّا النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهُ فِي الْقُرْآنِ فِي خِطَابٍ، وَإِنَّمَا يُذْكَرُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ كَقَوْلِه: وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ (آل عمران: 144)، وَقَوْلِه: وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّد (محمد:2)، وَقَوْلِه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ (الفتح: 29)»[128].

■ ومنه العطف على لفظ الجلال: فنجد أن لفظ "ورسوله" قد عطف على لفظ الجلالة في ما يقارب من ست وستين مرة في الذكر الحكيم، فأكسبه تعظيماً وتشريفاً له، ومنه: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّه وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّه وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّه شَدِيدُ الْعِقَابِ (الأنفال: 13)، فقد عطف اسم الرسول -ص-«عَلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ فِي الْجُمْلَةِ الأولى لقصد تَعْظِيم شَأْن الرَّسُولِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَعْلَمُوا أَنَّ طَاعَتَهُ طَاعَةُ اللَّه لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَى مَا أَمَرَهُ اللَّه بِتَبْلِيغِه»[129].

■ وكما تستعمل الصفة في التعظيم فقد تستعمل نفياً من مجموع وإخراجاً عنهم تعظيماً؛ لأنها في دلالتها العامة توضيح وتمييز من غيره، وإذا ما كان الشاهد الحبيب المصطفى -ص-، فقد قال تعالى في تعظيمه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً﴾ (الفرقان: 51)، قال ابن عادل: « والمراد من ذلك تعظيم النبي - صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من وجوه: أحدها: أنه

تعالى بيّن أنه مع القدرة على بعثه نذيراً ورسولاً في كل قرية خصّه بالرسالة وفضّله بها على الكلّ، ... وثانيها: المراد قصرنا الأمر عليك وأجللناك وفضلناك على سائر الرسل، فقابل هذا الإجلال بالتشدُّد في الدين، وثالثها: أن الآية تقتضي مزج اللطف بالعنف، لأنها تدل على القدرة على أن يبعث في كل قرية نذيراً مثل محمد (ص)»[130]، وقال تعالى في استعمال الصفة اخراجاً له تعظيماً وتمييزاً: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحشر: 8)، فقد استعمل البارئ -عزّ وجلّ- التعظيم في هذه الصفة "ورسوله" من جهتين، الأولى: العطف مع رب العزة، وأيّ تعظيم هذا في إشراك الحكم، والأخرى: وإن كان الحبيب المصطفى يتصف بما ذكر من صفات في الآية الكريمة من ابتغاء الفضل والرضوان والصدق إلا إن الآية في إفرادها قد أخرجته من الفقراء والمهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم -وهو منهم- ترفعاً من البارئ -جلّ شأنه- برسوله عن تسميته بالفقير[131].

■ واستعمال الإفراد من مجموع ظاهرة في أسلوب القرآن الكريم تعظيماً للمفرد من مجموع، وتمييزاً له، وكأنه هو الصورة المثلى التي لا يُدانيها شيء، والشواهد الكريمة أكثر من أن تحصى في هذا الجانب، ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسانِ...﴾ (النحل:90)، وقال جلّ وعلا: ﴿مَنْ كانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكافِرِينَ﴾ (البقرة:98)، وقوله جل شأنه: ﴿...وَإِنْ تَظاهَرا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾ (التحريم: 4)، فقد جاء التعظيم بإفراد من مجموع وهو العطف على ما يشتمل منه، فالعدل من الإحسان، وجبريل، وميكال من الملائكة، والأصل في العطف أن يكون مخالفاً للمعطوف عليه، إلا إن العطف بالخصوص من عموم يدل على نوع من الكمال والجلال[132]، ومن ذلك استعمال النعت تعظيماً وإفراداً وتوضيحاً للمنعوت بوسمه بميسم هذه الصفة من دون سواها، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ﴾ (فصلت:41)، فهو تعظيم للقرآن الكريم في سياق الإنكار في كرامته عند الله تعالى، فلا يُغير أو يزيل فيه أو ينقص منه حفظاً له من الباطل والتكذيب فلا يجد له سبيلاً فيه[133]، ومن ذلك الإفراد من مجموع استعمال الصفة اسماً دالاً للشيء تعظيماً له وتمييزاً عن غيره، فكأنه علامة اندفاعه عن غيره به، كقوله تعالى في "لظى" في استعمال اسم من أسماء

نار جهنم: ﴿كَلاَّ إِنَّها لَظى (15)نَزَّاعَةً للشَّوى (16)تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى (17) وَجَمَعَ فَأَوْعى﴾ (المعارج: 18)، فاختيار هذه الصفة علماً عليها وهي طبقة من طبقات جهنم، تعظيماً لأمرها وهولها(134)؛ لذلك قد تستعمل الصفة –كما في لظى– علماً عاماً لتعظيم غيرها وهو يوم القيامة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (الفرقان:27)، قال ابن عطية (ت542هـ) في هذه الآية: « ويظهر أن الظَّالِمُ عام وأن مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بأنه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى أن لو لم تطع في دنياها خلانها الذين أمروهم بالظلم»(135)، وكذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ﴾ (الطارق:9)، فكما قد تظهر الصفة في اللفظ أو الاسم تظهر في التركيب دالة على تعظيم الوصف، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبالُ﴾ (إبراهيم: 46)، ففيه ذكر المكر الذي قد تزول منه الشرائع الثابتة كثبات الجبال في قوتها، فإذا كانت جبال بهذا الوصف –وهي استعارة– فكيف بالمكر، قال ابن عطية:« وتحتمل عندي هذه القراءة أن تكون بمعنى تعظيم مكرهم، أي وإن كان شديدا إنما يفعل لتذهب به عظام الأمـــور»[136]، فقد يدل في التركيب على معنى بعيد من استعمال اللفظ تعظيماً كقول الزمخشري في قوله تعالى:﴿ قالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (ص: 35)؛ إذ قال: « أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، ولم يقصد بذلك إلا عظم الملك وسعته، كما تقول: لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال، وربما كان للناس أمثال ذلك، ولكنك تريد تعظيم ما عنده»[137].

(3)

(3-1)

إن التعبير عن التعظيم في القرآن الكريم اتخذ مسارات متعددة –كما وجد–، ومن تلك المسارات –فضلاً عمّا سبق– التعبير القرآني بطريق غير مباشر، فجاء على نمطين:

النمط الأول: بدلالة الملفوظ على ذاته بقصد التعظيم غير المباشر بأنماط تدل عليه (بدلالة اللفظ)، والآخر: بدلالة الملفوظ على غير ذاته بقصد التعظيم مباشرة بأنماط لا تدل عليه أصالة (بالدلالة باللفظ).

فمن دلالة اللفظ في كتاب سيبويه في بابين: باب ما ينتصب على التعظيم والمدح[138]، باب ما يجري من الشتم مجرى التعظيم[139]، قال السيرافي (ت368هـ): « هذا الباب في التعظيم والمدح، والباب الذي

في الشتم والتقبيح يجريان مجرى واحداً، والإعراب فيهما على طريق واحد»[140]، ومما يُلحظ الاعتماد فيهما على النعت والنعت المقطوع، ولم يتعدهما إلى موضوعات أخرى، مع أننا يمكن أن نلمس إشارات لطيفة من نحو قوله:«زعم الخليل أن نصب هذا على أنك لم ترد أن تحدث الناس ولا مَن تخاطب بأمرٍ جهلوه، ولكنهم قد علموا من ذلك ما قد علمتَ، فجعله ثناء وتعظيماً ونصبه على الفعل، كأنه قال: أذكرُ أهلَ ذاك، وأذكر المقيمين، ولكنه فعلٌ لا يستعمل إظهارُه، وهذا شبيهٌ بقوله: إنا بنى فلانٍ نفعل كذا، لأنه لا يريد أن يخبر مَن لا يدرى أنه من بنى فلان، ولكنه ذكر ذلك افتخارا وابتهاء. إلا إن هذا يجرى على حرف النداء، وستراه إن شاء الله عز وجل في بابه في باب النداء مبيناً. وتُرك إظهار الفعل فيه حيث ضارع هذا وأشباهه، لأن إنا بنى فلان ونحوه بمنزلة النداء. وقد ضارعه هذا الباب»[141]، وقد ذكر في باب النداء: « وإذا صغّرتَ الأمر فهو بمنزلة تعظيم الأمر في هذا الباب، وذلك قولك: إنا معشرَ الصعاليك لا قوةَ بنا على المُروّة، وزعم الخليل رحمه الله أن قولهم: بك الله نرجو الفضلَ، وسُبحانك الله العظيمَ، نصبُه كنصب ما قبله، وفيه معنى التعظيم. وزعم أن دخول أي في هذا الباب يدل على أنه محمول على ما حُمل عليه النداء، يعني أيتها العصابة فكان هذا عندهم في الأصل أن يقولوا فيه يا، ولكنهم خزلوها وأسقطوها حين أجروه على الأصل»[142]، فقد ذكر شروطاً للتعظيم أوجزها السيرافي شارح كتابه، بأن التعظيم بها حاجة إلى اجتماع معنيين في المعظم: أحدهما: أن يكون المعنى الذي عُظّم به فيه مدح وثناء ورفعة، والآخر: أن يكون المعظّم قد عرفه المخاطب وشهر عنده ما عظّم به أو يتقدم من كلام المتكلم ما يتقرر به عند المخاطب حال مدح وثناء وتشريف في المذكور يصح أن يورد بعدها التعظيم[143]، وما سنجده في البحث مغاير لهذا الذي ذُكر في جوانب منه، لشدة الاقتصار على بابٍ نحويٍ(النعت المقطوع)، وربطه بالمدح خلافاً للاستعمال القرآني.

وفي الذكر الحكيم نجد أن النمط الأول التعبير بدلالة اللفظ يعدُّ باباً واسعاً في التعبير القرآني، ومنه في التعظيم خاصة، كقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَوا أَضْعافاً مُضاعَفَةً وَاتَّقُوا اللّه لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130)وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ (131)وَأَطيعُوا اللّه وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(آل عمران:132)؛ إذ ليس في قوله تعالى:﴿أُعِدَّتْ لِلْكافِرينَ﴾ دلالة أن هذه النار غير معدة للعاصين من المسلمين، مع أنها معدة للكافرين[144]، إنما ذكرت تلك الدلالة تعظيماً لما أعدّ وهي

النار التي قال فيها البارئ سبحانه: ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (البقرة: 24)، فقد ذكرت تعظيماً لشأنها، قال ابن عادل: «أنَّ المقصود مِنْ وَصْفها - بكونها ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾: تعظيم الزَّجْر؛ لأن المؤمنين مخاطبين باتقاء المعاصي، إذا علموا بأنهم متى فارقوا التقوى، دخلوا النار المعدة للكافرين، وقد تقرَّر في عقولهم عظم عقوبة الكافرين، انزجروا عن المعاصي أتَمَّ الانزجار، كما يُخوفُ الوالدُ ولدَه بأنك إن عصيتني أدخلتك دارَ السباع، ولا يدل ذلك على أن تلك الدارَ لا يدخلها غيرهم»[145]، فدلالة مخاطبة المؤمنين واشتمالهم على ما فيها جاء بالتبع لا بالأصالة، وهذا النوع يقوم على أنماط عدة في ضمن سياقات خاصة تتضمن دلالة التعظيم لتأدية مقاصد تعبيرية أخرى في سياقاتها، ومن تلك الأنماط –ولكل سياق نمطه التعبيري-:

■ التنكير، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَما يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 269)، المراد من التنكير نمطاً لغوياً "الإبهام على نحو الجلال والعظمة، وكأنه شيء لا يُحاط بوصفه"، فـ"خَيْراً كَثِيراً": «تنكير تعظيم، كأنه قال: فقد أوتى أىّ خير كثير»[146] حثاً على العمل، وأنه مما لا يحيط به، وقال تعالى:﴿كتبَ عَلَيْكُمْ إذا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 180)، فيراد منه المال على وجه الكثرة «فَإِنَّمَا يُرَادُ تَعْظِيمُ مَاله وَمُجَاوَزَتُهُ حَدَّ أَهْلِ الْحَاجَة، وَإِنْ كَانَ اسْمُ الْمَالِ قَدْ يَقَعُ فِي الْحَقِيقَةِ عَلَى كُلِّ مَا يَتَمَوَّلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ، وَكَذَلِكَ إذَا قِيلَ: فُلَانٌ فِي نِعْمَةٍ، وَفِي رَفَاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ. فَإِنَّمَا يُرَادُ بِهِ تَكْثِيرُ النِّعْمَةِ، وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَنْفَكُّ عَنْ نِعْمَةِ اللَّهِ»[147]، وقد يأتي التنكير تعظيماً للحال في "عَشَرَةٌ كامِلَةٌ"[148] من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كامِلَةٌ﴾ (البقرة: 196)، ومما ورد في القرآن الكريم من التنكير دلالة على التعظيم مواضع متعددة، منها[149]: (وأعناباً[150]، قتال[151]، رزقاً[152]، قوماً[153]، هدًى[154]، بكلمات[155]، بحرب[156]، حسنةٌ[157]، زبوراً[158]، قوماً[159]، وصدوداً[160]، بكتابٍ[161]، لأجراً[162]، كتابٌ[163].

■ التعظيم باستعمال الجمع موضع المفرد فقد جاء على قسمين: الأول: تنزيل المفرد منزلة الجمع تعظيماً لعلو مكانته ورفعته وتعظيماً للفعل وتكثيراً له، كقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ

فيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فيها بِالْغُدُوِّ وَالآصالِ ﴾(النور:36)، قيل: « هذا من الخطاب المتلوّن الذي يفتح بالتوحيد ويختم بالجمع كقوله سبحانه يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ (الطلاق: 1)ونحوها، وقيل: رجع الى كلّ واحد من البيوت، وقيل: هو مثل قوله سبحانه وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ (نوح:16)وإنّما هو في واحدة منها»[164]، فقد قيل: المراد من البيوت بيت الرسول[165]—ص-، وقيل بيت أهل بيته[166]، وكقوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذلكَ كَتَبْنا عَلى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً﴾ (المائدة: 32)، قال الزمخشري: «فإن قلت: فما الفائدة في ذكر ذلك؟ قلت: تعظيم قتل النفس وإحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا في المحاماة على حرمتها لأنّ المتعرّض لقتل النفس إذا تصوّر قتلها بصورة قتل الناس جميعاً عظم ذلك عليه فثبطه، وكذلك الذي أراد إحياءها، وعن مجاهد: قاتل النفس جزاؤه جهنم، وغضب اللّه، والعذاب العظيم، ولو قتل الناس جميعاً لم يزد على ذلك، وعن الحسن: يا ابن آدم، أرأيت لو قتلت الناس جميعاً أكنت تطمع أن يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك به؟»[167]، والمشابهة تكون في التعظيم بينهما، قال الفخر الرازي: «الْمُبَالَغَةُ فِي تَعْظِيمِ أَمْرِ الْقَتْلِ الْعَمْدِ الْعُدْوَانِ وَتَفْخِيمِ شَأْنِهِ، يَعْنِي كَمَا أَنَّ قَتْلَ كُلِّ الْخَلْقِ أَمْرٌ مُسْتَعْظَمٌ عِنْدَ كُلِّ أَحَدٍ، فَكَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ قَتْلُ الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ مُسْتَعْظَمًا مَهِيبًا فَالْمَقْصُودُ مُشَارَكَتُهُمَا فِي الِاسْتِعْظَامِ»[168]، فرفع الذكر في البيوت، والقتل هما تعظيم للفعل فنسب الفاعل تعظيماً (البيت، والنفس الواحدة)فكأنه كثير، والقسم الآخر من استعمال الجمع موضع المفرد في المخاطبة، كخطاب المفرد خطاب الجمع تشريفاً، نحو قوله تعالى: ﴿ حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99)لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (المؤمنون:100)، فقد خاطب الإنسان ربه بعد أن نسبه إلى نفسه مخاطبة الجمع فقد « جرى على تعظيم الذكر في المخاطب»[169]، ويراد منه تنزيل المفرد منزلة الجماعة قوة وسطوة ورهبة، واستعمل في مواضع الخطاب والمتكلم، ففي موضع المخاطب يُراد به القوة والمنعة استعطافاً كقوله تعالى: ﴿وَقالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ عَسى أَنْ يَنْفَعَنا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ (القصص:9)، فالمخاطب فرعون على لسان زوجه، خوطب خطاب الجمع تعظيماً واستعطافاً، وفي موضع المتكلم ينظر إلى التعالي والتقوية كقوله تعالى:﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ

(73)إِلاَّ عِبادَ اللهِ الْمُخْلَصِينَ (74)وَلَقَدْ نادانا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ (75)وَنَجَّيْناهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصافات: 76)، فقد عبر البارئ -عزّ وجلّ- عن ذاته بالجمع تعظيماً وتنزيهاً، فقال: نادانا، ونعم المجيبون، وثمة نكتة -هنا-، وهي أن في الأول عظم نفسه البارئ، وفي الأخرى عظم الإجابة وهي من نعمه؛ لأن تعظيم نعمة الإجابة جاء على النداء الخالص الذي كان سبباً لحصول الإجابة، فأعطاه ما أعطاه!: النجاة من الكرب العظيم، وجعل ذريته هم الباقون[170]، فالفرق بين تعظيم الفاعل التشريف له، وتعظيم الفعل تكثيره[171].

■ التعظيم باسم الإشارة: يرد التعظيم في التعبير القرآني باسم الإشارة لتحديد مرتبة المشار إليه بجعل موازنة مع ذات تقابله أقل منه رتبة أوأدنى منزلة استبعاداً عنها، وهو على مرتبتين، الأولى: تنزيل المعظم مرتبة البعيد، كقوله تعالى: "أولئك أصحاب الجنة"[172]، "أولئك أصحاب النار"[173]، "أولئك أصحاب الجحيم"[174]، "أولئك أصحاب الميمنة"[175]فيراد تحديد مكانهم وافتراق الذات التي لا تدانيهم منزلة لهم على نحو الاستبعاد عنهم، مدحاً أو ذماً بحسب السياق، فمنه ما جاء وعيداً وتحذيراً تعظيماً لشأنهم[176]، وتعظيماً على بعد المنزلة كناية لمضمون أولئك الأصحاب « وَأُوثِرَ فِي الْآيَةِ اسْمُ إِشَارَةِ الْبَعِيدِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى بُعْدِ الْمَنْزِلَةِ كِنَايَةً عَنْ تَعْظِيمِ مَضْمُونِ مَا قَبْلَهُ»[177]، ومنه: ذلكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ (البقرة: 2)، ومما يُلحظ في التعظيم مع اسم الإشارة لـ"آيات" بـ"تلك" أنها اقترنت بمصاحبات منها: "تلك آيات الكتاب"[178]، و"تلك آيات الله"[179]، و"تلك آيات القرآن"[180]، وفي كل ذلك تعظيم لشأن صفة الآيات بما ينسجم مع سياق السورة والمقطع « فَالْمُشَارُ إِلَيْهِ مُقَدَّرٌ فِي الذِّهْنِ مُتَرَقَّبُ الذِّكْرِ... وَفِي الْإِشَارَةِ تَنْبِيهٌ عَلَى تَعْظِيمِ قَدْرِ تِلْكَ الْآيَاتِ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ اسْمُ الْإِشَارَةِ مِنَ الْبُعْدِ الْمُسْتَعْمَلِ فِي رِفْعَةِ الْقَدْرِ، وَبِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ إِضَافَةُ الْآيَاتِ »[181]. وثمة نط تعظيمي ورد في اسم الإشارة وهو:(استعمال اسم الإشارة الدال على خبر لما بعدها متصفاً بالتفخيم بـ"الـ" موصوفاً بحال)فكله تركيب تعظيمي[182]، وشواهده في الذكر الحكيم كثيرة، منها: "تلك الدار نجعلها"[183]، و"تلك القرى نقصّ"[184]، و"تلك القرى أهلكناهم"[185]، "تلك الرسل فضلنا"[186]، "تلك الأيام نداولها"[187]، تلك الجنة نورثها"[188]، "تلك الأمثال نضربها"[189]، فـ«التعظيم من البعد المستعار لعلوّ المرتبة، ... إشارة إلى أنها لشهرتها نزلت منزلة المحسوس فلذا أشير إليها»[190]، واسم الإشارة: تلك

« تعظيم لها وتفخيم لشأنها، يعنى: تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها»[191]، فإدخال "الـ" تفخيماً لجنس ماهيتها وتناهياً لعظمتها، فما ذكر قبلها من صفات حري بالإشارة بـ«تلْكَ الصِّفَات إِذْ بذكْرهَا يَتَمَيَّزُ عنْدَ السَّامعينَ أَكْمَلَ تَمْييز حَتَّى كَأَنَّهُ مُشَاهدٌ لأَبْصَارهمْ مَعَ مَا في اسْم الْإشَارَة منَ الْبُعْد الْمُسْتَعْمَل كنَايَةً عَنْ تَعْظيم الْمُشَار إِلَيْه، وَمَعَ مَا يَقْتَضيه إِيرَادُ اسْم الْإشَارَة عَقبَ أَوْصَاف كَثيرَة منَ التَّنْبيه عَلَى أَنَّهُ حَقيقٌ بمَا سَيَرِدُ بَعْدَ الْإشَارَة منْ أَجْل تلْكَ الصِّفَات فَأَخْبَرَ... بالَّذي لَا يَجْهَلُونَهُ»[192]، والمرتبة الأخرى: تنزيل المعظم مرتبة القريب[193]، كقوله تعالى: إِنَّما أُمرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هذه الْبَلْدَة الَّذي حَرَّمَها وَلَهُ كُلُّ شَيْء وَأُمرْتُ أَنْ أَكُونَ منَ الْمُسْلمينَ﴾ (النمل: 91)، إشارة إلى أن ملكاً مثل هذا في هذه البلدة ملك عظيم[194]، والمراد بهذه البلدة « مكة، وإنما خصها من بين سائر البلاد بإضافة اسمه إليها لأنها أحب بلاده إليه وأكرمها، عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها دالاً على أنها وطن نبيه ومهبط وحيه»[195].

■ التعظيم بالضمير، والمراد من الضمير أنه اشتهر فليكنى بالضمير تعظيماً عن الذكر صراحة لاشتهاره أو تنزيله هذه المنزله، ويأتي على حالات منها: الضمير المخاطب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (الكوثر:1)، قال الرازي: « أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ يُفيدُ أَنَّ اللَّه تَعَالَى تَكَلَّمَ مَعَهُ لَا بوَاسطَة، فَهَذَا يَقُومُ مَقَامَ قَوْله: وَكَلَّمَ اللَّه مُوسَى تَكْليماً (النِّسَاء: 164) بَلْ هَذَا أَشْرَفُ لأَنَّ الْمَوْلَى إِذَا شَافَهَ عَبْدَهُ بالْتزَام التَّرْبيَة وَالْإحْسَان... فَفيه تَنْبيهٌ عَلَى عَظَمَة الْعَطيَّة لأَنَّ الواهب هو جبار السموات وَالْأَرْض وَالْمَوْهُوبَ منْهُ، هُوَ الْمُشَارُ إِلَيْه بكَاف الْخطَاب في قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾ وَالْهبَةُ هي الشَّيْءُ الْمُسَمَّى بالْكَوْثَر، وَهُوَ مَا يُفيدُ الْمُبَالَغَةَ في الْكَثْرَة، وَلَمَّا أَشْعَرَ اللَّفْظُ بعظَم الْوَاهب وَالْمَوْهُوب منْهُ وَالْمَوْهُوب، فَيَا لَهَا منْ نعْمَة مَا أَعْظَمَهَا وَمَا أَجَلَّهَا، وَيَا لَهُ منْ تشريف ما أَعلاه»[196]، ومنها الضمير الغائب كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَة مُبَارَكَة إِنَّا كُنَّا مُنْذرينَ﴾ (الدخان: 3)، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَة الْقَدْر﴾ (القدر: 1)، فقد: «أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ في لَيْلَة الْقَدْر، وَلَكنَّهُ تَعَالَى تَرَكَ التَّصْريحَ بالذِّكْر، لأَنَّ هَذَا التَّرْكيبَ يَدُلُّ عَلَى عظَم الْقُرْآن منْ ثَلَاثَة أَوْجُه أَحَدُهَا: أَنَّهُ أَسْنَدَ إنْزَالَهُ إِلَيْه وَجَعَلَهُ مُخْتَصًّا به دُونَ غَيْره وَالثَّاني: أَنَّهُ جَاءَ بضَميره دُونَ اسْمه الظَّاهر شَهَادَةً لَهُ بالنَّبَاهَة وَالاسْتغْنَاء عَن التَّصْريح، أَلَا تَرَى أَنَّهُ في السُّورَة الْمُتَقَدِّمَة لَمْ يَذْكُر اسْمَ أَبي جَهْل وَلَمْ يَخْفَ عَلَى أَحَد لاشْتهَاره، وَقَوْلُهُ: فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَت الْحُلْقُومَ (الْوَاقعَة: 83)

لم يذكر الموت لشهرته، فكذا هاهنا وَالثَّالِثُ: تَعْظِيمُ الْوَقْتِ الَّذِي أُنْزِلَ فيه»[197]، ومنها: ضمير الشأن في تركيب: "إنه كان..."[198]، كقوله تعالى: فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كانَ عَذابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (الشعراء: 189)، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّماواتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾ (فاطر: 41)، ومن ضمير الشأن: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: 1)، ففيه أقوال عدة، منها: « أَنَّه ضميرُ الشأنِ لأنه موضعُ تعظيمٍ، والجملةُ بعدَه خبرُه مفسِّرةٌ »[199].

■ التعظيم بالذكر: تأكيداً على ما يحمله المذكور من دلالة في نفسه تعدّ تهويلاً للسامع وتكثيراً فيما يكون عليه، كقوله تعالى: ﴿اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ ما سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَباؤُا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذلِكَ بِأَنَّهُمْ كانُوا يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذلِكَ بِما عَصَوْا وَكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (البقرة: 61)، وقال -جلّ ذكر اسمه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ (آل عمران: 21)، فقد ذُكر "بغير حق" في قتل النبيين «تعظيم(اً) للشنعة والذنب الذي أتوه، ومعلوم أنه لا يقتل نبي بحق، ولكن من حيث قد يتخيل متخيل لذلك وجها، فصرح قوله: بِغَيْرِ الْحَقِّ عن شنعة الذنب ووضوحه، ولم يجترم قط نبي ما يوجب قتله، وإنما أتاح الله تعالى من أتاح منهم»[200].

■ التعظيم بتكرار المعظم: وفيه تأكيد على بيان عظمته فهو إلى النفوس أقرب، وبها اثبت، كقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ (19)﴾ فقد كرر (شهد الله:... عند الله..)، و(ومن يكفر بآيات الله فإن الله...)، فقد كرر لفظ الجلالة استعظاماً له من باب إيقاع الظاهر موقع المضمر تعظيماً وتفخيماً على سنن العرب في إعادة الاسم موضع الكناية تعظيماً وتشريفاً وتفخيماً[201]، منه قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (الواقعة: 11)، فقد أفاد التوكيد التعظيم لعلو منزلتهم و« أنه بمعنى السابقون، هم الذي اشْتُهِرَتْ حالُهم بذلك كقولهم: أنت أنت، والناسُ الناسُ»[202]، وقال تعالى: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ (الزمر: 2)، «في قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الكتاب﴾ تكريرُ تعظيمٍ بسببِ إبرازِه في جملةٍ أخرى مضافاً إنزالُه إلى المعظَّم

نفسَه»[203]، وكقوله جلّ وعلا: ﴿هُوَ اللّه الَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ عالمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَة هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحيمُ (22)هُوَ اللّه الَّذي لا إلهَ إلاَّ هُوَ الْمَلكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمنُ الْمُهَيْمنُ الْعَزيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحانَ اللّه عَمَّا يُشْرِكُونَ (23)هُوَ اللّه الْخالقُ الْبارئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنى يُسَبِّحُ لَهُ ما في السَّماوات وَالأَرْض وَهُوَ الْعَزيزُ الْحَكيمُ﴾ (الحشر: 24)، فقد كرر "هو الله" تعظيماً للعظيم، وتأكيداً في النفوس والأسماع، وتثبيتاً للحكم.

■ التعظيم بالصفة: كقوله تعالى: ﴿(52)فَأَرْسَلَ فرْعَوْنُ في الْمَدائن حاشرينَ (53)إنَّ هؤُلاء لَشرْذمَةٌ قَليلُونَ (54)وَإنَّهُمْ لَنا لَغائظُونَ (55)وَإنَّا لَجَميعٌ حاذرُونَ (56) فَأَخْرَجْناهُمْ منْ جَنَّات وَعُيُون (57)وَكُنُوز وَمَقام كَريم﴾ (الشعراء: 58)، ورد التعظيم بصفةَ الكريم و«الكريم: الحقيق بإعطاء الخير الجزيل، وذلك بأنه أهل الكرم، وهي صفة تعظيم في المدح»[204]، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إنَّها تَذْكرَةٌ (11)فَمَنْ شاءَ ذَكَرَهُ (12)في صُحُف مُكَرَّمَة (13)مَرْفُوعَة مُطَهَّرَة (14)بأَيْدي سَفَرَة (15)كرام بَرَرَة﴾ (عبس:16)، ومهما قيل في "مكرمةً" يبقى القول أنها وصفت بهذه الصفة تعظيماً لها[205]، فهي صفة مدح وتعظيم وكأن هذه الصفة معلومة لسامعها عنها فنعتت بها، ومنه قوله عزّ من قائل: ﴿فَلا أُقْسمُ بالْخُنَّس (15)الْجَوار الْكُنَّس (16)وَاللَّيْل إذا عَسْعَسَ (17)وَالصُّبْح إذا تَنَفَّسَ (18)إنَّهُ لَقَوْلُ رَسُول كَريم (19)ذي قُوَّة عنْدَ ذي الْعَرْش مَكين (20)مُطاع ثَمَّ أَميـن (21)﴾، فقد مدح نبيه تعظيماً بصفة مدح: كريم، مكين، ولعل "عند" وحدها أشد مراتب التعظيم، وياها من منزلة، ومنه قوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بالدِّين (9)وَإنَّ عَلَيْكُمْ لَحافظينَ (10)كراماً كاتبينَ (11)يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ﴾ (الانفطار: 12)، و«في تعظيم الكتبة بالثناء عليهم: تعظيم لأمر الجزاء»[206].

■ التعظيم بالالتفات، وهو من الموضوعات التي تتضمّن معنى التعظيم ولم يكن مرادا بها قصداً، قال تعالى: ﴿تلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنا بَعْضَهُمْ عَلى بَعْض منْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللّه وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجات وَآتَيْنا عيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنات وَأَيَّدْناهُ برُوح الْقُدُس...﴾ (البقرة: 253)، فكان الالتفات من التكلم إلى الغائب فعاد إلى التكلم (فضلنا، كلم الله، وآتينا)، فالتفضيل والإيتاء مما يرتبط بمعجزات النبوة، وتكليم الله منسوبان إلى البارئ -عزّ وجلّ- مما لم يتكرر كثيراً وهو من المعجزات الرفيعة، جاء في تفسير ابن عادل: «أنَّ قوله: ﴿مِّنْهُمْ مَّن كَلَّمَ اللّه﴾ أهيب وأكثر وَقْعاً من أن يُقال: منهم من كلمنا، ولذلك قال: ﴿وَكَلَّمَ اللّه موسى تَكْليما﴾ فلهذا اختَارَ لفظ الغيبة، وأَمَّا قوله ﴿وَآتَيْنَا عيسَى ابن

مَرْيَمَ البينات﴾ فإنَّما اختار لفظ المخاطبة؛ لأن الضَّمير في قوله «وآتَيْنَا» ضمير التَّعظيم، وضمير تعظيم إحياء الموتى يدلُّ على عظمة الإيتاء»[207]، وقال: تعالى:﴿وَواعَدْنا مُوسى ثَلاثينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْناها بِعَشْرٍ فَتَمَّ ميقاتُ رَبِّه أَرْبَعينَ لَيْلَةً وَقالَ مُوسى لأَخيه هارُونَ اخْلُفْني في قَوْمي وَأَصْلِحْ وَلا تَتَّبِعْ سَبيلَ الْمُفْسِدينَ﴾ (الأعراف:142)، فقد تغييرت جهة الخطاب من (واعدنا، وأتممنا، إلى ميقات ربه) فـ«يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هَذَا امْتِنَانًا مِنَ اللَّه اعْتَرَضَهُ بَيْنَ الْقِصَّة وَعِدَة مُوسَى عَلَيْه السَّلَامُ انْتِقَالًا مِنَ الْخَبَر وَالْعِبْرَة إِلَى النِّعْمَة وَالْمِنَّة، فَيَكُونُ الضَّمِيرُ ضَمِيرَ تَعْظِيم»[208]، ومنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً (1)لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّه ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَما تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِراطاً مُسْتَقِيماً (2)وَيَنْصُرَكَ اللَّه نَصْراً عَزِيزاً (الفتح: 3)، فالفتح تعظيم للمتكلم عدل عنه إلى الغائب ربما لأن الفتح مختص بالبارئ -تعالى شأنه- والمغفرة متعلقة بالآخرين فناسب كل منهما، وعكس ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذي يُرْسِلُ الرِّياحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَته حَتَّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثقالاً سُقْناهُ لِبَلَد مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا به الْماءَ فَأَخْرَجْنا به مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ كَذلكَ نُخْرِجُ الْمَوْتى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (الأعراف: 57)، فبدأت (بالغائب، فالمتكلم)، وفيه عموم الإرسال من الرياح المبشرات بالغيث، فالاختصاص بالإنزال رحمة وإخراج الثمرات حياة متعلقة بالقُدُس، فاجتمع أكثر من تعظيم.

■ التعظيم بتخصيص اللفظ: كقوله: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة: 2)وهو هدى لِلْكُلِّ، كما قال: ﴿هُدًى لِّلنَّاس﴾(البقرة: 185)، وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا﴾ (النازعات: 45)﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتبع الذكر﴾ (يس: 11)، مع أَنَّهُ كان منذراً لِلْكُلِّ؛ كما قال: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾(الفرقان: 1)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْواجَهُنَّ إِذا تَراضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوف ذلكَ يُوعَظُ به مَنْ كانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر ذلِكُمْ أَزْكى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّه يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 232)، قال ابن عادل: «وخَصَّصَ هذا الوعظ بالمؤمنينَ دون غيرهم؛ لأنَّهُم المنتفعُون به فلذلك حسنَ تخصيصهم»[209]، ومنه قوله -عزّ من قائل-: ﴿وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ ما خَلَقَ اللَّه في أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّه وَالْيَوْم الآخر وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ في ذلكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوف وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة:228)، قال الزمخشري: «يجوز أن يراد اللاتي يبغين إسقاط ما في بطونهن من الأجنة فلا يعترفن به ويجحدنه لذلك، فجعل كتمان ما في أرحامهن كناية

عن إسقاطه إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ تعظيم لفعلهن»[210].

■ وثمة مواضع أخرى تفيد التعظيم تضميناً بدلالة اللفظ في التراكيب لقصد آخر من الجمل، ومنها: التعظيم بالتقديم ما حقه التأخير: عناية في إظهار تناهيه في العظمة، كقوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر: 46)، « مبتدأ خبره يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا وفي هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها، وعرضهم عليها: إحراقهم بها» [211]، ومنه حذف جواب "لولا" تعظيماً لعلو المكانة، كقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَ لَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْ لا تُسَبِّحُونَ﴾ (القلم28)﴾، فقد «وتأويله أيضاً يعود إلى تعظيم الله في الاستثناء بمشيئته»[212]، وقيل: «وَسَمَّى الاسْتِثْنَاءَ تَسْبِيحًا لأَنَّهُ تَعْظِيمٌ للَّه وَإِقْرَارٌ بِأَنَّهُ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ. وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ: كَانَ اسْتِثْنَاؤُهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَقِيلَ: هَلَّا تسبحون اللَّه وتقولوا سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَشْكُرُونَهُ عَلَى مَا أَعْطَاكُمْ»[213]، وقوله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ (فصلت: 41)، فقد قيل:« فِي جَوَابِهِ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ مَحْذُوفٌ كَسَائِرِ الْأَجْوِبَةِ الْمَحْذُوفَةِ فِي الْقُرْآنِ عَلَى تَقْدِيرِ: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ يُجَازَوْنَ بِكُفْرِهِمْ أَوْ مَا أَشْبَهَ وَالثَّانِي: أَنَّ جَوَابَهُ قَوْلُهُ أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَالْأَوَّلُ أَصْوَبُ، وَلَمَّا بَالَغَ فِي تَهْدِيدِ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ، فَقَالَ: وَإِنَّهُ لَكِتابٌ عَزِيزٌ »[214]، ومن ذلك التعظيم بالجملة المعترضة كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللَّاتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتامى بِالْقِسْطِ وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كانَ بِهِ عَلِيماً﴾ (النساء: 127)، فـ"ما يتلى عليكم في الكتاب" جملة اعتراضية «وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ مبتدأ وفي الْكِتابِ خَبَرُهُ، وَهِيَ جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَعْظِيمُ حَالِ هَذِهِ الْآيَةِ الَّتِي تُتْلَى عَلَيْهِمْ وَأَنَّ الْعَدْلَ وَالْإِنْصَافَ فِي حُقُوقِ الْيَتَامَى مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي يَجِبُ مُرَاعَاتُهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَيْهَا»[215]، ومن ذلك التعظيم بالتراخي بـ"ثم" كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ [122]ثُمَّ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (النحل: 123)جاء في تفسير السمين الحلبي:« قال الزمخشري: في «ثم» هذه ما فيها من تعظيم منزلته وأجلال محلّه، والإيذانُ بأنّ أشرفَ ما أوتي خليلُ الرحمن من الكرامة وأجلَّ ما أولِيَ من النعمة اتّباعُ رسولِ الله صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ من قِبَلِ أنها دَلَّتْ على تباعُدِ هذا النعتِ في الرتبة مِنْ بينِ سائرِ النُّعوت التي أثنى اللّه عليه بها»[216].

مما سبق يُلحظ أن التعظيم بدلالة الملفوظ على ذاته بقصد التعظيم غير المباشر جاء بأنماط متعددة تدل على مفهومه، ومن تلك الأنماط: التعظيم بالتنكير، وبمجيء الجمع بصيغة المفرد، وباسم الإشارة وبالضمير، وبالذكر وبتكرار المعظم، وبالصفة وبالالتفات، وبتخصيص اللفظ وبمواضع أخر.

(3-2)

إن النمط الآخر من أنماط التعبير القرآني بالدلالة باللفظ بطريق غير مباشر هو ما جاء بدلالة الملفوظ على غير ذاته بقصد التعظيم مباشرة بأنماط لا تدل عليه أصالة، وله تحققات متعددة منها:

■ **التعظيم بالاستفهام**، يرد التعظيم في الاستفهام على غير معنى الطلب الحقيقي فينزل المعظم منزلة تحقق الثبات في الخارج لا يقبل صدقاً أو كذباً، على نحو الحقيقة الواضحة التي ليس معها مواراة، كتركيب "أنظر كيف..."[217] الذي خرج فيه الاستفهام إلى التعجب على نحو المبالغة التي تفيد تعظيم الشيء وتهويله، ومما يُلحظ أن التعجب حالة نفسية شعورية، والتعظيم تصور لموضوع خارجي ويشتركان في التضخيم والتهويل، كقوله تعالى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْماً مُبِيناً (النساء:50)، قال الواحدي: « يعني: افتراءهم، إثما مبينا وتأويل هذا: تعظيم إثمهم»[218]، فهو تضخيم للافتراء على نحو الاستعظام والمبالغة الحقيقية التي لا يُتصور فيها الكذب أو الصدق في الحدث الخارجي؛ لأنه على الله -عزّ وجلّ-، وقال: -عز من قائل-: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ ما فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ (يوسف: 89)، هذا الاستفهام يراد منه تعظيم القصة وتوبيخهم عليها، ومعناه: ما أعظم ما ارتكبتم من يوسف وما أقبح ما أتيتم من قطيعة رحمه وتضييع حقه كما تقول: هل تدري من عصيت؟[219]، وقال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْناهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْناهُمْ خَلائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِنا فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ (يونس:73)، ففيه «تعظيم لما جرى عليهم»[220]، ويحمل في طياته معنى التهديد المفخم[221] ومن الاستفهام التعظيمي تركيب "وما أدراك ما..."، وكل ما ورد بعده فهو من عظائم الأمور فضلاً عن تعظيمها للمتلقي وتهويلها على نحو التفرد فلا يُحاط بكنهها تعظيماً لأمرها وتعجباً منها، ومن هذه الأمور: (الحاقة[222]، سقر[223]،

يوم الفصل[224]، يوم الدين[225]، سجين[226]، عليون[227]، الطارق[228]، العقبة[229]، ليلة القدر[230]، القارعة[231]، هي، نار حامية[232]، الحطمة[233]، ومن أنماط التعظيم في أسلوب الاستفهام تركيب("الاسم" فـ"ما" فتكرار "الاسم نفسه")كـ(أصحاب اليمين ما أصحاب اليمين[234]، وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال[235]، الحاقة ما الحاقة[236]، القارعة ما القارعة[237]...، كقوله تعالى: ﴿فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ (الواقعة: 8)وأريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين على السامع بما ليس عنده منه علم سابق[238]، فقد« أَقَامَ الْمُظْهَرَ مَقَامَ الْمُضْمَرِ وَقَالَ: فَأَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحابُ الْمَيْمَنَةِ وَالْإِتْيَانُ بِالْمُظْهَرِ إِشَارَةٌ إِلَى تَعْظِيمِ أَمْرِهِمْ حَيْثُ ذَكَرَهُمْ ظَاهِرا مرتين»[239]، وهذا التركيب « ولا يكون ذلك إلا في مواضع التَّعظيم »[240]، وقال تعالى: ﴿هؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى اللَّهِ كَذِباً﴾ (الكهف: 15)ففيه تعظيم كفر من كذب بآيات الله وصدف عنها [241].

■ **التعظيم بالقسم**: القسم بالشيء تعظيم لمكانته ولمنزلته، سواء أكانت ظاهرة أم غير ظاهرة، ومما يلحظ أن القسم إظهار لعظمة الشيء، أو تنزيله تلك المنزلة، قال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّساءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَما يُتْلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ فِي يَتامَى النِّساءِ اللاَّتِي لا تُؤْتُونَهُنَّ ما كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدانِ﴾ (النساء: 127)قال الزمخشري: «أقسم بما يتلى عليكم في الكتاب، والقسم أيضا لمعنى التعظيم، وليس بسديد أن يعطف على المجرور في: (فيهنَّ)، لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى»[242]، وورد القسم في الذكر الحكيم بمواضع كثيرة، ولكن يراد منه في الغالب تشريف المقسم به وتعظيم منزلته، كقوله تعالى: « فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ (النساء:65)» ورد القسم ونفيه، فقد ورد القسم برب الجلالة منسوباً إلى المخاطب، ويبدو لي أن شدة المقسوم به تقاس بالمقسم عليه، فلعله كلما كانت القضية أشد جيء بقسم يناسم الموضع وبمقسوم أشد منه، تثبيتاً وتقوية إظهار، و"لا" « زيدت مع القسم وإن لم يكن المقسم به، دل ذلك على أنها إنما تدخل فيه لتأكيد القسم، فإذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفياً، تعيّن جعلها لتأكيد القسم، طرداً للباب »[243]،ومن ذلك: «لا أُقْسِمُ بهذَا الْبَلَدِ)[244]، (لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ)[245]، (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ)[246]، (فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ)[247](فَلا أُقْسِمُ بِما تُبْصِرُونَ وَما لا تُبْصِرُونَ)[248]، فقد يراد

من هذا التركيب: «لَا أُقْسِمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى إِثْبَاتِ هَذَا الْمَطْلُوبِ فَإِنَّ هَذَا الْمَطْلُوبَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يُقْسَمَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَيَكُونُ الْغَرَضُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ تَعْظِيمَ الْمُقْسَمِ عَلَيْهِ وَتَفْخِيمَ شَأْنِهِ... وَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: لَا أُقْسِمُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى إِثْبَاتِ هَذَا الْمَطْلُوبِ، فَإِنَّ إِثْبَاتَهُ أَظْهَرُ وَأَجْلَى وَأَقْوَى وَأَحْرَى، مِنْ أَنْ يُحَاوِلَ إِثْبَاتَهُ بِمِثْلِ هَذَا الْقَسَمِ»[249]، ومما أقسم به " الكتاب" قال تعالى: ﴿حم (1)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (الزخرف: 2) « وجه التناسب فيه أنه أقسم بالقرآن، وإنما يقسم بعظيم، ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بأنه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون، »[250]، ومثله: ﴿حم (1)وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ (الدخان:2)، فقد قال الرازي: « اعْلَمْ أَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: بَيَانُ تَعْظِيمِ الْقُرْآنِ بِحَسَبِ ذَاتِهِ الثَّانِي: بَيَانُ تَعْظِيمِهِ بِسَبَبِ شَرَفِ الْوَقْتِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ الثَّالِثُ: بَيَانُ تَعْظِيمِهِ بِحَسَبِ شَرَفِ مَنْزِلَتِهِ، أَمَّا بَيَانُ تَعْظِيمِهِ بِحَسَبِ ذَاتِهِ فَمِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِهِ وَثَانِيهَا: أَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِهِ عَلَى كَوْنِهِ نَازِلًا فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ، وَقَدْ ذَكَرْنَا أَنَّ الْقَسَمَ بِالشَّيْءِ عَلَى حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِ نَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى كَوْنِهِ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ وَثَالِثُهَا: أَنَّهُ تَعَالَى وَصَفَهُ بِكَوْنِهِ مُبِينًا وَذَلِكَ يَدُلُّ أَيْضًا عَلَى شَرَفِهِ فِي ذَاتِهِ»[251]، وما أقسم الله -عزّ وجلّ- به ما يُحيط بالحبيب المصطفى -ص-، فقد «فَهُوَ تَعَالَى أَقْسَمَ بِزَمَانِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ: وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (الْبَلَدِ: 2)وَبِعُمُرِهِ فِي قَوْلِهِ: لَعَمْرُكَ (الْحِجْرِ: 72)فَكَأَنَّهُ قَالَ: وَعَصْرِكَ وَبَلَدِكَ وَعُمُرِكَ، وَذَلِكَ كُلُّهُ كَالظَّرْفِ لَهُ، فَإِذَا وَجَبَ تَعْظِيمُ حَالِ الظَّرْفِ فَقَسْ حَالَ الْمَظْرُوفِ»[252]، فقد قال -عزّ من قائل-: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: 72)، فقد أقسم البارئ عزّ وجلّ- بعمر حبيبه المصطفى وحياة مخاطبه، فالقسم بالمقسم به تعظيم له«لِأَنَّ الْقَسَمَ بِاسْمِ أَحَدٍ تَعْظِيمٌ لَهُ، فَاسْتُعْمِلَ لَفْظُ الْقَسَمِ كِنَايَةً عَنِ التَّعْظِيمِ»[253].

■ **التعظيم بالنداء**: يستعمل النداء لأغراض عدة، وقد تحذف أداة النداء فيوصل المنادى مباشرة، والأصل أن يُنادى الاسم العلم إذا كان معروفاً به، فلا يعدل عنه إلى وصف أو إضافة إلا لغرض خاص ومنه التعظيم والتكريم[254]، كقوله تعالى: "يا أيُّها النبي"[255]، في حين استعمل "يا أيها الرسول"[256]في مواضع حمل الرسالة وأعبائها، وقد ينادى بالصفة الحامل لها تعظيماً لشأنه فيقال: «لحافظ القرآن: حَامِلَ كتاب الله العزيز، وللمفسِّر يا مُفَسِّرَ كلام الله، فإن هذا اللقبَ يدل على أن قائله أراد المبالغة في تعظيم المخاطَب، وتَطْييب قَلْبِه»[257]، كـ"يا أهل الكتاب"[258]في موضع

المحاججة مع المسلمين طلباً للإنصاف وإيجاد مشتركات في الحوار، وقد تحذف أداة النداء مع اسمه-جلّ شأنه وعلا- كما في حذف الأداة مع ألفاظ منها "ربّ"، قال تعالى: ﴿قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوالِيَ مِنْ وَرائِي وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (5)يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (6) يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (7)قالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَكانَتِ امْرَأَتِي عاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (8)قالَ كَذلِكَ قالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً (9) قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم: 10)، فقد حذفت أداة النداء مع المنادى: رب، و« فائدةُ حَذْفِ حرف النداء هنا تعظيم المنادى وتنزيهه... ونداء الربِّ قد كَثُر حَذْفُ "يا" منه في القرآن، وعلةُ ذلك أن في حذف "يا" من نداء الرب معنى التعظيم والتنزيه، وذلك أنَّ النداءَ فيه طَرَفٌ من معنى الأمر؛ لأنك إذا قلت: يا زيد فمعناه: تعالَ يا زيد، أدعوك يا زيد، فحُذفت "يا" من نداء الرب ليزولَ معنى الأمر وينقص لأنَّ "يا" تؤكِّده وتُظهر معناه فكان في حذف "يا" الإجلالُ والتعظيم والتنزيه»[259].

■ **التعظيم بالتعجب**: وهو قسمان: تعظيم من المتعجب منه، ما جاء نقلاً عن أصل بصيغة "فَعُل"، وما جاء خروجاً عن الاستفهام بما يدعو إلى الدهشة وتعظيم المتعجب منه، فمن الأول: قوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ (الصف: 3)، فقد نقل عظم الأثم والجرم إلى الثلاثي الدال على التعجب تعظيماً وتهويلاً للجريرة بالحدث اللازم فاتصف فاعله بالبيان عنه توضيحاً له وتفسيراً، ومن ذلك النداء الدال على التعجب تعظيماً وتهويلاً كقوله تعالى: ﴿يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبادِ ما يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ (يس:30)، قال الزمخشري:«يجوز أن يكون (التحسر)من الله تعالى على سبيل الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على أنفسهم ومحنوها به، وفرط إنكاره له وتعجيبه منه»[260]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقاءِ اللهِ حَتَّى إِذا جاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قالُوا يا حَسْرَتَنا عَلى ما فَرَّطْنا فِيها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزارَهُمْ عَلى ظُهُورِهِمْ أَلا ساءَ ما يَزِرُونَ﴾ (الأنعام: 31)، فهو نداء للعجب والحسرة المنسوبة تألماً إلى الذين خسروا ممن كذّبوا ندامة تناهياً في عظم الفجيعة «اقربي أو احضري فهذا وقتك وزمنك، وفي ذلك تعظيم للأمر على نفس المتكلم وعلى سامعه إن كان ثم سامع، وهذا التعظيم على النفس والسامع هو المقصود

أيضا بنداء الجمادات كقولك يا دار ويا ربع، وفي نداء ما لا يعقل كقولهم يا جمل، ونحو هذا»[261].

■ **التعظيم بالنفي والنهي**: كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحابِ الْجَحِيمِ﴾ (البقرة: 119)، فإن معنى هذا «النَّهْيِ تَعْظِيمُ مَا وَقَعَ فيه الْكُفَّارُ مِنَ الْعَذَاب، كَمَا إِذَا سَأَلْتَ عَنْ إِنْسَانٍ وَاقِعٍ فِي بَلِيَّةٍ فَيُقَالُ لَكَ: لا تسأل عنه، ووجه التعظيم أن المسؤول يَجْزَعُ أَنْ يَجْرِيَ عَلَى لِسَانه مَا هُوَ فيه لِفَظَاعَته فَلا تَسْأَلْهُ وَلا تُكَلِّفْهُ مَا يضجره، أو أنت يا مُسْتَخْبِرٌ لا تَقْدِرُ عَلَى اسْتِمَاعِ خَبَرِه لإيحَاشه السَّامِعَ وَإِضْجَارِه، فَلا تَسْأَلْ»[262]، ويتفرع عن هذه المسألة مسألة نفي القسم بـ"لا أقسم بـ..."[263] فهو قسم ولكن لعظم الواقعة قيل لا أقسم بكذا؛ لشدة الأمر كقولنا لا تسألني عما حدث لي، فلم يرد به النهي عن السؤال بل تعظيم الأمر وتهويله لشدته فلا يمكن تصوره إما لوضوحه واشتهاره، وإما أنه لا يحتاج إلى قسم للإثبات، فيُجاب وماذا حدث؟ فلم يكن نهياً عن سؤال.

■ **التعظيم بفعل الأمر**: ومنه: "قُلْ"[264]، وفيه تكريم وتعظيم «قُلْ يُوجِبُ كَوْنَهُ رَسُولاً مِنْ عِنْد اللَّه، فكلما قيلَ لَهُ: قُلْ كَانَ ذَلِكَ كَالْمَنْشُورِ الْجَدِيد فِي ثُبُوت رِسَالَتِه، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْمُبَالَغَةَ فِي تَعْظِيمِ الرَّسُولِ، فَإِنَّ الْمَلِكَ إِذَا فَوَّضَ مَمْلَكَتَهُ إِلَى بَعْضِ عَبِيدِه، فَإِذَا كَانَ يَكْتُبُ لَهُ كُلَّ شَهْرٍ وَسَنَةٍ مَنْشُورًا جَدِيدًا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى غَايَةِ اعْتِنَائِهِ بِشَأْنِه، وَأَنَّهُ عَلَى عَزْمِ أَنْ يَزِيدَهُ كُلَّ يَوْمٍ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا»[265]، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ﴾ (الكافرون: 1)، فارق بين أن يكون كلام الله -عزّ وجلّ- وكلام نبيه الكريم، فلو كانت كلاماً للبارئ لما كان حجة على الكفار في العبادة، ولو كان من عند الرسول الأكرم فلعله من اجتهاده بدعواهم، فكان الأمر بـ"قل" فارقاً لهذه الجهة، فضلاً عن أن «خِطَابَ اللَّه تَعَالَى مَعَ الْعَبْد مِنْ غَيْر وَاسِطَةٍ يُوجِبُ التَّعْظِيمَ أَلا تَرَى أَنَّهُ تَعَالَى ذَكَرَ مِنْ أَقْسَام إِهَانَة الْكُفَّار أَنَّهُ تعالى لا يكلمهم، فلو قال: (يا أيها الْكَافِرُونَ)لَكَانَ ذَلِكَ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ خِطَابُ مُشَافَهَة يُوجِبُ التَّعْظِيمَ، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهُ وَصْفٌ لَهُمْ بِالْكُفْرِ يُوجِبُ الإِيذَاءَ فَيَنْجَبِرُ الإِيذَاءُ بِالإِكْرَام، أما لما قال: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ فَحِينَئِذٍ يَرْجِعُ تَشْرِيفُ/ الْمُخَاطَبَة إِلَى مُحَمَّد صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ، وَتَرْجِعُ الإِهَانَةُ الْحَاصِلَةُ لَهُمْ بِسَبَبِ وَصْفِهِمْ بِالْكُفْرِ إِلَى الْكُفَّارِ، فَيَحْصُلُ فيه تَعْظِيمُ الأَوْلِيَاءِ، وَإِهَانَةُ الأَعْدَاءِ، وَذَلِكَ هُوَ النِّهَايَةُ فِي الْحُسْنِ الثَّالِثَ»[266]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَما أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (هود:112)، ففي الأمر الصادر بالاستقامة المتصف بما يُؤمر به

على نحو المباشرة بين العبد وربه مخاطبة تعظيم[267].

■ **التعظيم بالقصر**: كقوله تعالى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (التوبة:129) وقال -جلّ وعلا-: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (يوسف: 67)فلا توكل على من يُحسن عنه بما دُلَّ عليه من أثار وأفضال، فضلاً عن ذكر تعظيم جلال الله عزّ وجلّ سبحانه.

مما سبق يُلحظ أن التعظيم في طريقة التعبير بدلالة الملفوظ (الدلالة باللفظ) على غير ذاته بقصد التعظيم مباشرة، ورد بأنماط لا تدل عليه أصالة، ومنها: التعظيم بالاستفهام، وبالقسم، وبالنداء وبالتعجب، وبالنهي، وبفعل الأمر، وبالقصر.

الخاتمة والنتائج:

- لم أطلع -مع كثرة البحث والاستقصاء- على بحث يجمع التعظيم أسلوباً موحداً في ذكر آلياته وصوره، وما يتعلق به.

- تميزت كتب تفسير القرآن التي عنيت بالنكت اللغوية بالوقوف على دلالات الأنماط وذكرها؛ لامتلاكها ناصية المعرفة القرآنية، وقراءة النص الكريم قصداً، غير أنهم لم يعنوا بوضع قواعد له؛ لأنه ليس من صلب عملهم.

- ورد باب التعظيم عند سيبويه ولكن جعله في النعت المقطوع ولم يتعده إلى غيره.

تحقق الدلالة المعجمية في وجودها الخارجي والتعبير عن ذلك الوجود لسانياً وتعبيرياً بالانتقال من الدلالة المعجمية إلى دلالات أخر.

- ورد تركيب "الفوز العظيم":16 مرة في القرآن الكريم أكثر بقليل من تركيب "العذاب العظيم" 15 مرة، وربما لهذا دلالة خاصة في طريقة الاستعمال.

- الاستعمال الدلالي للتعظيم يبدأ من دلالة الخارجية للفظ فالتعبير المعنوي واللفظي عنه بطريقين: مباشر للملفوظ وغير مباشر.

- لما كانت اللغة ظاهرة اجتماعية لبني البشر فهي تعبير صادق عن رؤاهم فيما يتصل بعالم الغيب، فاستعيرت الألفاظ الخاصة بهم للتعبير عنه كالوجه، واليد، والعين، بدلالاتها العامة في سياقات دالة على استعمالها بوصفها أدوات.

- أن استعمال تلك الألفاظ أدوات للتعبير عن وجهة نظر الإنسان عمّا يحسه ويشعر به

في عالمه عالم الشهادة لينقله إلى عالم الغيب.

- من الدلالات الدالة على التعظيم: استعمال تراكيب خاصة في أنماط ذكرت في البحث، ومنها: استعمال النفي دلالة على تعظيم الشيء وتهويله في أنه لا يمكن الإحاطة به، كقوله تعالى لا تسألني، ولا أقسم بكذا.

- حاول البحث وضع قواعد لدلالة التعظيم في طريقة استعماله.

الهوامش----------

(1)في الصحاح 5/1987(عظم): «العَضْمُ: لوح الفدَّان الذي في رأسه الحديدة. والعَضْمُ: الخشبة التي يذرَّى بها الطعام. والعَضْمُ: مقبض القوس. والعَضْمُ: عسيب البعير، والجمع أعضمة».

(2) العين: 2/91.

(3) جمهرة اللغة: 2/ 391.

(4) تهذيب اللغة: 2/182.

(5) تهذيب اللغة: 2/182، وينظر: الصحاح:5/1988.

(6) شمس العلوم: 7/4615.

(7) العين: 2/91.

(8) ينظر: جمهرة اللغة: 2/931.

(9) تهذيب اللغة: 2/182.

(10) ينظر: الصحاح: 5/1988.

(11) المفردات في غريب القرآن: 573.

(12) ينظر: شمس العلوم: 7/4615.

(13) تاج العروس: 33/110.

(14) تاج العروس: 33/113، أصل النص: يُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْكَبِيرُ فِي ذَاتِهِ كَبِيرًا سَوَاءٌ اسْتَكْبَرَهُ غَيْرُهُ أَمْ لَا، وَسَوَاءٌ عَرَفَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَحَدٌ أَوْ لَا، وَأَمَّا الْعَظَمَةُ فَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كَوْنِهِ بِحَيْثُ يَسْتَعْظِمُهُ غَيْرُهُ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ كَانَتِ الصِّفَةُ الْأُولَى ذَاتِيَّةً وَالثَّانِيَةُ عَرَضِيَّةً وَالذَّاتِيُّ أَعْلَى وَأَشْرَفُ مِنَ الْعَرَضِيِّ، فَهَذَا هُوَ الْمُمْكِنُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَالْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ. التفسير الكبير: 1/134.

(15) العين: 2/91، وينظر: معجم مقاييس اللغة: 4/355.

(16) الفروق اللغوية: 183.

(17) جمهرة اللغة: 2/931.

(18) الصحاح: 5/1988.

(19) تهذيب اللغة: 2/182.

(20) تهذيب اللغة: 2/182.

(21) ينظر: الصحاح: 5/1988.

(22) تهذيب اللغة: 2/182.

(23) العين: 2/91.

(24) تهذيب اللغة: 2/182، وينظر: الصحاح: 5/1988.

(25) معجم مقاييس اللغة: 4/355.

(26) تهذيب اللغة: 2/182.

(27) الصحاح: 5/1988.

(28) معجم مقاييس اللغة: 4/355.

(29) الفروق اللغوية: 183.

(30) معجم الفروق اللغوية: 361.

(31) الفروق اللغوية: 183.

(32) معجم الفروق اللغوية: 361.

(33) ينظر: تكملة المعاجم العربية: 241-7/240.

(34) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: 2/ 1519.

(35) العين: 2/91.

(36)تهذيب اللغة: 2/182، نص الحديث: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا الْمُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ، فَعَظِّمُوا رَبَّكُمْ، وَأَمَّا السُّجُودُ، فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ» ينظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل: 3/386(الحديث رقم 1900)، وسنن أبي داود: 2/156 (الحديث رقم 876).

(37) تهذيب اللغة: 2/182.

(38) الفروق اللغوية: 183.

(39) ينظر تهذيب اللغة: 1/311.

(40) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 466-468.

(41) ينظر: الحج: 30، 32، الطلاق: 5.

(42) ينظر: معاني الأبنية: 11-9، والتعبير القرآني: 24.

(43) اللباب في علوم الكتاب: 14/79.

(44) ينظر: التوبة: 20، الحديد: 10، المزمل: 20.

(45) تفسير ابن عرفة: 4/159.

(46) التحرير والتنوير: 376-27/375.

(47) ينظر: آل عمران: 172، 179، المائدة: 9، الأنفال: 28، التوبة: 22، الحجرات:3، التغابن: 15، النساء: 40، 67، 74، 95، 114، 146، 162، الأحزاب: 29، 35، الفتح:10، 29.

(48) ينظر: النساء: 13، المائدة: 119، التوبة: 72، 89، 100، 111، يونس: 64، الصافات: 60، غافر: 9، الدخان: 57، الحديد: 57، الصف: 12، التغابن: 9، النساء73، الأحزاب: 71، الفتح: 5.

(49) ينظر: البقرة: 49، 114، آل عمران: 105، 176، المائدة: 23، 41، الانفال: 68، التوبة: 101، النحل: 94، 106، النور: 11، 14، 23، الجاثية: 10، النساء:93.

(50) ينظر: البقرة: 105، آل عمران: 74، 174، النساء: 113، الانفال: 29، الحديد: 21، 29، الجمعة:4.

(51) ينظر: الأنبياء: 76، الصافات: 76، 115.

(52) ينظر: الأعراف: 141، إبراهيم: 6.

(53) ينظر: النور: 16، النساء: 156.

(54) ينظر: ص: 67، النبأ: 2.

(55) ينظر: النساء: 48.

(56) ينظر: الواقعة: 46.

(57) ينظر: التوبة: 63.

(58) ينظر: القلم: 4.

(59) ينظر: الأعراف: 116.

(60) ينظر: لقمان: 13.

(61) ينظر: الواقعة: 76.

(62) ينظر: الإسراء: 4.

(63) ينظر: يوسف: 28.

(64) ينظر: النساء: 54.

(65) ينظر: النساء: 27.

(66) ينظر: التوبة: 129، المؤمنون:86، النمل:23، 26.

(67) ينظر: الواقعة: 74، 96، الحاقة: 52.

(68) ينظر: الحج: 1، (النور:15، الأحزاب:53).

(69) ينظر: البقرة: 255، الشورى: 4.

(70) ينظر: القصص: 79، فصلت:35.

(71) ينظر: الحاقة: 33.

(72) ينظر: الصافات: 107.

(73) ينظر: الزخرف: 31.

(74) ينظر: الشعراء: 63.

(75) ينظر: الحجر: 87.

(76) ينظر: الأنعام:15، الأعراف:59، يونس:15، الشعراء: 135، 156، 189، الزمر:13، الأحقاف:21.

(77) ينظر: مريم: 37، المطففين: 5.

(78) ينظر: معاني الأبنية: 60، 94.

(79) كقوله تعالى: }فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيامُ شَهْرَيْنِ مُتَتابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً ذلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَلِلْكافِرِينَ عَذابٌ أَلِيمٌ }(المجادلة:4).

(80) كقوله تعالى: }مِنْ قَبْلُ هُدىً لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآياتِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ}(آل عمران: 4).

(81) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن: 82.

(82) ينظر: مفردات ألفاظ القرآن:447.

(83) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 1/327، 6/76، 7/310، 10/191، 12/168

(84) ينظر: الاعجاز البياني للقرآن: 11.

(85) التحقيق في كلمات القرآن الكريم: 8/213.

(86) معاني القران واعرابه: 1/409

(87) معاني القرآن وإعرابه: 5/22.

(88) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 4/294، 338، والكشاف: 1/40، تفسير العز بن عبد السلام: 2/210، اللباب في علوم الكتاب: 20/272، والتحرير والتنوير: 1/405، و30/273.

(89) الكشاف: 1/228

(90) ينظر: التفسير الكبير: 6/402، اللباب في علوم الكتاب: 4/36.

(91) ينظر: المحرر الوجيز: 3/298، التحرير والتنوير: 2/172، 177.

(92) الكشاف:1/211

(93) مخطوطة الجمل: 1/362

(94) تفسير ابن فورك: 2/129.

(95) التفسير الكبير: 12/472.

(96) ينظر: اللباب في علوم الكتب

(97) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 8/8.

(98) التفسير الكبير: 19/34، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 11/294.

(99) التحرير والتنوير: 18/9.

(100) الكشف والبيان عن تفسير القرآن:1/180،

وينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 1/120.

(101) التحرير والتنوير:1/422.

(102) التفسير الكبير: 25/181.

(103) التفسير الكبير:1/207.

(104) التحرير والتنوير:1/180.

(105) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 3/14.

(106) تفسير ابن فورك: 110.

(107) اللباب في علوم الكتاب:4/417.

(108) التحرير:191-22/190.

(109) التحرير والتنوير: 30/93.

(110) ينظر: تفسير السمرقندي: 2/573.

(111) مسند الإمام أحمد بن حنبل32/126 رقم الحديث(19382)، وينظر: سنن أبي داود: 2/321 رقم الحديث: (1099).

(112) مصنف ابن أبي شيبة: 6/74 رقم الحديث (29575).

(113) ينظر: البقرة: 158، المائدة: 2، الحج: 32، 36.

(114) الكشاف:3/158.

(115) الكشاف:4/524

(116) التفسير الكبير:13/146.

(117) ينظر: البقرة: 101، آل عمران: 23، النساء 24، المائدة: 44، الانفال: 75، التوبة: 36، الروم: 56، الأحزاب: 62/ فاطر: 29.

(118) التحرير والتنوير: 1/708.

(119) ينظر: المائدة: 15، 19، 92، التغابن: 12.

(120) التحرير والتنوير: 7/31

(121) ينظر: التحرير والتنوير: 28/231.

(122) ينظر: التوبة: 32، الصف:8.

(123) ينظر: الأعراف: 73، هود: 64، الشمس: 31.

(124) الجاثية: 36.

(125) ينظر: الجاثية: 23، النبأ: 37، الرعد: 6....

(126) ينظر: التحرير والتنوير: 10/245.

(127) معاني القرآن واعرابه: 5/32

(128) أضواء البيان: 7/402.

(129) التحرير والتنوير: 28/75.

(130) اللباب في علوم الكتاب: 14/548.

(131) ينظر: الـدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 10/284.

(132) ينظر: الكشاف: 4/567، والتفسير الكبير: 14/275.

(133) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 17/147.

(134) المحرر الوجيز: 5/367.

(135) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 4/208.

(136) المحرر الوجيز في علوم الكتاب العزيز: 3/346.

(137) الكشاف: 4/95.

(138) ينظر: كتاب سيبويه: 2/ 62.

(139) ينظر: كتاب سيبويه: 2/70.

(140) شرح كتاب سيبويه: 2/395.

(141) كتاب سيبويه: 66-2/65.

(142) كتاب سيبويه: 236-2/235.

(143) ينظر: شرح كتاب سيبويه: 2/ 399.

(144) ينظر: التفسير الكبير: 2/353.

(145) اللباب في علوم الكتاب: 5/534.

(146) الكشاف: 1/316.

(147) التفسير الكبير:5/231.

(148) ينظر: التفسير الكبير:5/ 312.

(149) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 4/6، 5/185، 17/356، 20/112، التحرير والتنوير: 1/245، 1/703، 3/94، 5/106، 23/354، 9/46، 26/283.

(150) إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفازاً (31)حَدائِقَ وَأَعْناباً (النبأ: 32)،

(151) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتالٍ فِيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ...(البقرة: 217).

(152) كُلَّما دَخَلَ عَلَيْها زَكَرِيَّا الْمِحْرابَ وَجَدَ عِنْدَها رِزْقاً... (البقرة: 37).

(153) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الجاثية:14).

(154) أُولئِكَ عَلى هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (البقرة: 5).

(155) وَإِذِ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (البقرة:124).

(156) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ (البقرة: 279).

(157) وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ما ذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قالُوا خَيْراً لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ وَلَدارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دارُ الْمُتَّقِينَ (النحل:30).

(158) إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً (النساء:163).

(159) قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ لِيَجْزِيَ قَوْماً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ (الجاثية:14).

(160) وَإِذا قِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا إِلى ما أَنْزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً (النساء:61).

(161) وَلَقَدْ جِئْناهُمْ بِكِتابٍ فَصَّلْناهُ عَلى عِلْمٍ هُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (الأعراف:52).

(162) وَجاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنا لأَجْراً إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغالِبِينَ (الأعراف:113).

(163) قَدْ عَلِمْنا ما تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنا كِتابٌ حَفِيظٌ (ق:4).

(164) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 7/108.

(165) ينظر: التفسير الكبير: 24/ 396.

(166) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 7/107.

(167) الكشاف:1/627.

(168) التفسير الكبير: 11/344.

(169) تفسير ابن فورك: 98.

(170) ينظر: التفسير الكبير: 26/339.

(171) ينظر: حاشية الشهاب: 4/42.

(172) ينظر: البقرة: 82، والأعــراف: 42، ويونس:: 26، وهود: 23، والأحقاف:14.

(173) ينظر: البقرة: 39، 81، 217، 257، 275، وآل عمران: 116، الأعراف: 36، ويونس: 27، الرعد: 5، والمجادلة: 7، والتغابن: 10.

(174) ينظر: المائدة: 10، 86، الحج: 51، والحديد: 19.

(175) ينظر: البلد: 18.

(176) ينظر: السراج المنير: 1/170.

(177) التحرير والتنوير:17/251.

(178) ينظر: يونس: 1، يوسف: 1، والرعد: 1، والحجر:1، والشعراء: 1، والقصص: 2، ولقمان: 2.

(179) ينظر: البقرة: 252، آل عمران: 108، الجاثية: 6.

(180) ينظر: النمل: 1.

(181) التحرير والتنوير:21/140

(182) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 5/397.

(183) ينظر: القصص: 83.

(184) ينظر: الأعراف: 101.

(185) ينظر: الكهف: 59.

(186) ينظر: البقرة: 253.

(187)آل عمران: 140.

(188) مريم: 64.

(189) العنكبوت: 44، والحشر: 21.

(190) حاشية الشهاب:7/87

(191) الكشاف:3/435

(192) التحرير والتنوير: 22/282.

(193) استئناساً تتضمن إشارة إلى قوله تعالى: { وَإِذا سَأَلَكَ عِبادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (البقرة: 186).

(194) ينظر: الكشاف:3/389.

(195) اللباب في علوم الكتاب: 15/210

(196) التفسير الكبير: 32/310.

(197) التفسير الكبير: 32/228.

(198) ورد هذا التركيب في القرآن الكريم ما يقرب من أربع وثلاثين مرة، منها ينظر: النساء: 2، 22، والإسراء: 3، 25، 30، 32، 33، 44، 66، 96، ومريم: 41....

(199) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 11/149، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 20/559.

(200) الكشاف: 4/156.

(201) اللباب في علوم الكتاب:5/103-104.

(202) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 10/195.

(203) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 9/406.

(204) تفسير ابن فورك: 1/ 232.

(205) ينظر: التفسير الكبير: 31/55.

(206) الكشاف: 4/716.

(207) اللباب في علوم الكتاب:4/306.

(208) التحرير والتنوير: 9/85.

(209) اللباب في علوم الكتاب: 4/166.

(210) الكشاف:1/272.

(211) الكشاف: 4/170.

(212) اللباب في علوم الكتاب:12/194.

(213) معالم التنزيل في تفسير القرآن: 5/138.

(214) التفسير الكبير:27/ 568.

(215) التفسير الكبير:11/233.

(216) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 7/301، وينظر: الكشاف: 2/643.

(217) ورد هذا التركيب ما يقرب من سبع عشرة مرة، ينظر: النساء: 50، المائدة: 65، الأنعام: 24، 46، 65، الأعراف: 84، 103، يونس: 39، 73، الإسراء: 21، 48، الفرقان: 9، النمل: 14، 51، القصص: 40، الصافات: 40، الصافات: 73، الزخرف: 25.

(218) الوسيط في تفسير القرآن المجيد: 2/66.

(219) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد:2/630، والتفسير الكبير: 18/504.

(220) الكشاف: 2/360، وينظر: اللباب في علوم الكتاب: 20/212.

(221) ينظر: المحرر الوجيز في علوم الكتاب العزيز: 4/425، اللباب في علوم الكتاب: 19/515-516، التحرير والتنوير: 30/183.

(222) ينظر: الحاقة 3.

(223) ينظر: المدثر: 27.

(224) ينظر: المرسلات: 14.

(225) ينظر: الانفطار: 17، 18.

(226) ينظر: المطففين: 8.

(227) ينظر: المطففين: 9.

(228) ينظر: الطارق: 2.

(229) ينظر: البلد: 12.

(230) ينظر: القدر: 2.

(231) ينظر: القارعة: 3.

(232) ينظر: القارعة: 11-10.

(233) ينظر: الهمزة: 5.

(234) ينظر: الواقعة: 27.

(235) ينظر الواقعة: 41.

(236) ينظر: الحاقة: 2-1.

(237) ينظر: القارعة: 2-1.

(238) ينظر: هامش الكشاف (2): 4/457.

(239) التفسير الكبير: 29/389، وينظر: الدر المصون: 10/194.

(240) اللباب في علوم الكتاب:18/375.

(241) ينظر: التفسير الكبير: 14/187.

(242) الكشاف:1/570.

(243) هامش الكشاف:1/528

(244) ينظر: البلد: 1.

(245) ينظر: القيامة: 1.

(246) ينظر: التكوير: 12.

(247) ينظر: الواقعة: 75.

(248) ينظر: الواقعة: 38.

(249) التفسير الكبير: 29/ 720، وينظر: الدر

المصون في الكتاب المكنون: 10/224.

(250) الزخرف: 2-1.

(251) التفسير الكبير: 27/654.

(252) التفسير الكبير: 32/279.

(253) التحرير والتنوير:14/68.

(254) ينظر: التحرير والتنوير: 29/255.

(255) استعمل ما يقارب من ثلاث عشرة مرة، ينظر: الأنفال: 64، 65، 70، التوبة: 73، الأحزاب: 1، 28، 45، 50، 59، الممتحنة: 12، الطلاق: 1/ التحريم:1، 9.

(256) في موضعين: المائدة: 41، 67.

(257) اللباب في علوم الكتاب:5/297.

(258) استعمل فيما يقارب من اثني عشر موضعاً، ينظر: آل عمران: 64، 65، 70، 71، 98، 99، النساء: 171، المائدة: 15، 19، 59، 68، 77.

(259) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: 5/286.

(260) الكشاف:4/95.

(261) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 2/284.

(262) التفسير الكبير:4/29.

(263) ينظر: التفسير الكبير: 29/425.

(264) تكرر ما يُقارب من مائتين وتسع وثمانين مرة، ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: 580-575.

(265) التفسير الكبير: 32/324.

(266) التفسير الكبير: 32:324.

(267) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: 3/211-212.

مصادر البحث وموارده:

■ القرآن الكريم.

■ **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان: 1415 هـ - 1995 مـ.

■ **الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق**: عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ (ت 1419هـ)، دار المعارف، الطبعة: الثالثة، (د.ت).

■ **تاج العروس من جواهر القاموس**: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت 1205هـ)، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

■ **التحرير والتنوير**: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس: 1984 هـ.

■ **التحقيق في كلمات القرآن الكريم**: المصطفوي، الطبعة الأولى، طهران: 1385.

■ التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، بيت الحكمة: 1987م.

■ **تفسير ابن عرفة**: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت 803هـ)، تح: جلال الأسيوطي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 2008 م.

■ **معالم التنزيل في تفسير القرآن** = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ، 1420 هـ.

■ **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت 427هـ)، تح: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان: 1422، هـ - 2002 م.

■ **تفسير السمرقندي**: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت 373هـ).

تفسير العز بن عبد السلام: تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي): أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت 660هـ)، تح: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، الطبعة: الأولى، دار ابن حزم – بيروت: 1416هـ/ 1996م.

■ **التفسير الكبير**: المسمى مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت 606هـ)، الطبعة: الثالثة، دار إحياء التراث العربي – بيروت: - 1420 هـ:

■ **تكملة المعاجم العربية**: رينهارت بيتر آن دُوزِي (ت 1300هـ)، نقله إلى العربية وعلق عليه: جـ 1 - 8: محمَّد سَليم النعَيمي، جـ 9، 10: جمال الخياط.

■ **تهذيب اللغة**: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت370هـ)، تح: محمد عوض مرعب، الطبعة: الأولى، دار إحياء التراث العربي – بيروت: 2001م.

■ **جمهرة اللغة**: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت 321هـ)، تح: رمزي منير بعلبكي، الطبعة: الأولى، دار العلم للملايين – بيروت: 1987م.

■ **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي. المسماة**: عنَايةُ القَاضِى وكفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: شهَاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري

الحنفي (ت 1069هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت.

■ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، تح: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

■ **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ)، مطبعة بولاق (الأميرية)- القاهرة: 1285 هـ.

■ **سنن أبي داود**: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت 275هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.

■ **شرح كتاب سيبويه**: أبو سعيد السيرافي الحسن بن بد الله بن المرزبان (ت368هـ)، تح: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 2008م.

■ **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (ت573هـ)، تح: د حسين بن عبد الله العمري – مطهر بن علي الإرياني – د يوسف محمد عبد الله، الطبعة: الأولى، دار الفكر المعاصر (بيروت – لبنان)، دار الفكر (دمشق – سورية): 1420 هـ – 1999 م.

■ **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت 393هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة: الرابعة، دار العلم للملايين – بيروت: 1407 هـ – 1987م.

■ العين أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

■ **الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

■ **كتاب سيبويه**: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (ت 180هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة: الثالثة، مكتبة الخانجي، القاهرة: 1408 هـ – 1988 م.

■ **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت 538هـ)،

الطبعة: الثالثة، دار الكتاب العربي – بيروت: 1407 هـ.

■ **اللباب في علوم الكتاب**: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت 775هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان: 1419 هـ 1998-م.

■ **المحرر الوجيز في علوم الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت 542هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت: 1422 هـ.

■ **مسند الإمام أحمد بن حنبل**: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، تح: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الطبعة: الأولى، مؤسسة الرسالة:1421 هـ - 2001 م.

■ **مصنف ابن أبي شيبة**: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت 235هـ)، تح: كمال يوسف الحوت، الطبعة: الأولى، مكتبة الرشد – الرياض: 1409

■ **معاني الأبنية**: د. فاضل صالح السامرائي، الطبعة الأولى، جامعة الكويت: 1981.

■ معاني القران واعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزّجّاج (ت311هـ)، تح: عبد الجليل عبده شلبي، الطبعة: الأولى، عالم الكتب – بيروت:1408 هـ - 1988 م.

■ **معجم الفروق اللغوية**: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو 395هـ)، الطبعة: الأولى، ومؤسسة النشر الإسلامي: 1412هـ.

■ **معجم اللغة العربية المعاصرة**: عجم اللغة العربية المعاصرة: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت1424هـ)، بمساعدة فريق عمل، الطبعة: الأولى، عالم الكتب::1429 هـ- 2008م.

■ **المعجم المفهرس لألفاظ** القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة الأولى، مشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان: 1420هـ1999-م.

■ **معجم مقاييس اللغة**: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر: 1399هـ - 1979م.

■ **مخطوطة الجمل**: معجم وتفسير لغوي لكلمات القرآن: حسن عز الدين بن حسين بن عبد الفتاح أحمد الجمل، الطبعة: الأولى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر:2008-2003م.

■ **المفردات في غريب القرآن**: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت 502هـ)، تح: صفوان عدنان الداودي، الطبعة: الأولى، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت: 1412 هـ.

■ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت 468هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 1415 هـ - 1994م.